429

HARLEQUIN

روايات أحلام

من يجرؤ على الشوق ؟

ساندرا فيلد

www.elromancia.com
مرمورية

من يجرؤ على الشوق!

منذ اللحظة التى وقعت فيها عينا سليد كاروتروس على كيلي شاردن الرائعة، أدرك أن عليه أن يحصل عليها. و لكن كان لكيلي سمعة سيئة، و لم يكن سليد بالرجل الذى يحب أن يشاركه أحد في فتاة.

لم تكن كيلي بالفتاة الرخيصة كما يعتقد الجميع. لكنها أمضت حياتها تعبث بالرجال إلى أقصى حد وذلك كي تجنب نفسها تحطم القلب.. و لكنها الآن على وشك أن تقع في شباك صياد خطير..

وهكذا هربت في رحلة حول العالم... مونت كارلو... كوبنهاغن... باريس... نيويورك...

لكن سليد كان على قدر التحدي.. فالى متى تستطيعين الهرب يا كيلي!

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	قطر	15درهم
الإمارات	10دراهم	ليبيا	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-397-1

ساندرا فيلد

ولدت ساندرا فيلد في انكترا لكنها عاشت معظم حياتها في كندا. وهي تقول إن صمت الشمال وفراغه يضجّ بالكلمات والصور. ورغم أن ساندرا تعشق السفر ويحلو لها أن تنقل للآخرين الأحاسيس والانفعالات التي تنتابها عندما تتعرّف إلى مكان جديد، فهي تختار دائما أن تكتب عن مدينة هي الآن ديارها. تقول ساندرا: «إنني أكتب من وحي تجربتي. وتجربتي هذه علمتني أن الحب، بما يعتريه في حزن ويلّفه من أفراح، هو أهم ما في الدنيا. وإني لأتمنى أن تغني هذه المعرفة كتاباتي وتلامس أوتاراً حسّاسة فيك، أيها القارئ.

١ - أتكرهين الرجال

إنها حفلة في حديقة... وهذا ليس ما اعتاده.

استقر سليد كاروثرس في زاوية من الحديقة تظلله نخلة فيما تسنده شجرة كاليفورنية المنشأ. كانت الشمس مشرقة طبعاً، وهل بإمكانها ألاّ تكون كذلك يوم حفلة السيدة هايوارد السنوية الثالثة؟

إنه بمفرده، بحسب رغبته.

لقد أمضى فترة طويلة بين النساء في الداخل، ولعل الضجر تملكه من لعبة المطاردة القديمة كالزمن تلك. مضت عليه فترة طويلة لم يتعرف فيها إلى امرأة جذبته إلى حد دفعه إلى التخلّي عن وضعه الحالي الموحش.

التفت من حوله بشكل عفوي. كان ضيوف بيل هايوارد مزيجاً غريباً من ذوي الثراء الفاحش، وأبناء العائلات العريقة، والفنانين الجوالين. لكن كل واحد منهم كان يعرف القواعد: بدلات وربطات عنق للرجال، وفساتين وقبعات للسيدات. كان الرجلان الضخمان اللذان يقفان عند البوابة الحديدية يمنعان من الدخول كل من لا يرتدي ملابساً رسمية، وقد رفضا السماح بدخول رسام شهير لأنه يلبس سروالاً ملطخاً، ووريثة ترتدي سروالاً مرصعاً بالجواهر! أخذ سليد يفكر في هذا كله بتسلية. كانت بذلته الصيفية مخاطة باليد، وحذاءه من الجلد الإيطالي، كما أن قميصه وربطة عنقه من الحرير، حتى أنه تمكن بشكل ما من تسريح شعره المتمرد.

مرت أمامه امرأة شابة، كان رأسها منحنياً وهي تصغي إلى امرأة مسنّة، مألوفة لديه، ترتدي ثوباً بنفسجي اللون يبدو وكأنها أخرجته

www.elromancia.com

لتوها من المخزن. وتذكر أنه تعرف إليها هنا العام الماضي. إنها ماغي وارو. هذا هو اسمها، صاحبة اللسان السليط كحد السيف.

أما المرأة الشابة فخرقت اثنتين من القواعد المفروضة، فهي لا تعتمر قبعة، كما أنها ترتدي قميصاً واسعاً فوق سروال فضفاض.

كانت خصلات شعرها الحمراء الثائرة تتوهج كاللهب في أشعة الشمس.

ترك سليد مكانه تحت النخلة وتقدم منهما بابتسامة معرفة، وقد تسارعت خفقات قلبه بشكل لم يعجبه. عندما اقترب منهما رأى عينيها الواسعتين المكحلتين اللتين يعلوهما حاجباها المقوسان الأنيقان، كما لاحظ فمها الشهواني وذقنها الحازمة التي أضافت ميزة إلى وجهها المشحون بالذكاء العاطفي.

والبالغ الرقة، بحسب رأيه! فلن يحب أيّ كان أن يمضي فترة العصر مع عجوز وقحة في التسعين من عمرها، تنبعث منها رائحة الدواء المضاد للعث.

وفجأة، ردّت الفتاة الشابة رأسها إلى الخلف ضاحكة، وكانت ضحكة رنانة اخترقت إحساس سليد فيما راح شعرها المتموج فوق كتفيها يتلألأ في الضوء.

جمد مكانه وتعرّقت راحتاه، فيما أخذ قلبه يخفق بشدة. كيف ينجذب إلى هذا الحد إلى فتاة لا يعرف حتى اسمها؟

يبدو أن أشهر تنسّكه الطويلة انتهت... سيموت إذا لم يتعرف إليها!

من أين جاءت مثل هذه الفكرة؟ وحمل نفسه على الهدوء. إنها مجرد شهوة... شهوة قديمة.

وكأنها شعرت بقوة تحديقه إليها فنظرت إليه، وإذا بابتسامتها تذوي لتحل مكانها نظرة حائرة وقالت: «هل من خطأ ما؟ هل يُفترض أنني أعرفك؟».

كان صوتها بالغ الرقة والحلاوة، وفيه لكنة. وأجاب: «لا أعتقد أنه

سبق لنا التعارف. مرحباً يا سيدة يارو. تبدو عليك الصحة والنشاط».

أطلقت المرأة العجوز ضحكة متقطعة: «حذار من هذا الرجل، يا فتاة. إنه أغنى منك بكثير، وهو أحد أصحاب بيل المفضلين».

فقال سليد: «لماذا لا تعرفينني إليها، على أيّ حال؟».

- فليقدم كل منكما نفسه للآخر. أنتما تبدوان مثالاً للجمال، ولأناقة سكان كاليفورنيا. أنا بحاجة إلى شراب.

أخفض سليد رأسه عندما رفعت عصاها الأبنوسية لتلفت انتباه النادل. وبعد أن اختطفت كأساً من فوق صينيته سارت إلى حيث تقف مضيفتها.

حاول سليد ألاّ يضحك وهو يعود فينظر إلى تينك العينين الرائعتين، ويقول: «أنا لست من كاليفورنيا، وأنت؟».

فأجابت وهي تمدّ يدها مصافحة: «لا... اسمي كيلي كاردين».

كانت أصابعها نحيلة، لكن قبضتها تعكس ثقة بالنفس. لطالما اهتم سليد بتأثير المصافحة. فتح فمه لينطق بكلام مهذب ذكي، لكنه وجد نفسه يقول: «أنت أجمل امرأة رأيتها».

جذبت يدها من يده وقد تملكها الذعر بعد أن شعرت بالمشاعر تجتاحها، وبكل عصب فيها يتنبّه. وخطر لها أن هذا رجل خطر فهو ليس كالرجال الذين اعتادت التعرف إليهم، بل بعيد كل البعد عنهم.

أخذت نفساً عميقاً، ثم قالت بمرح: «قرأت مؤخراً مقالاً يقول إن الجمال أساسه التناغم والتناسق. لذا أنت تمدحني فقط لأن أنفي ليس مقوساً أو بشعاً أو لأنني لا أعاني من حول أو جحوظ في العينين».

لن يتوقف لأنه يريد هذه الفتاة، فقال: «بل أقول إن عينيك أشبه بالبحر في الصيف حين يجرف أسراب السمك، وإن شعرك يتألق كالجمر على شاطئ البحر».

طرفت بعينيها: «هذا شعر. أنت تدهشني يا كاروترس».

- ناديني سليد... ولا أتصور أنني أول رجل يخبرك عن مدى جمالك.

- أتعني أنني لست كاملة؟ والآن، إن وجهك أكثر قوة من أن يوصف بالوسامة. نعم، إنه مسيطر، لكنه خشن للغاية.

وبادلته ابتسامته بابتسامة تفيض سخرية، وهي تتابع: «شعرك بلون خشب الماهوغني البني المائل إلى الحمرة، وعيناك بلون البحر الأزرق في آخر ليالي الصيف، بزرقة منتصف الليل الرائعة تلك».

- أنت تخجلينني.

فقالت بنبرة لاذعة: «لا أتصور أنني أول امرأة تخبرك عن مدى جاذبيتك المدهشة».

فقال: «أتعلمين؟ إنّ جلدك يلمع كاللؤلؤ داخل الصدفة».

كان يجاهد كيلا ترتفع يده ليلامس خدها الناعم كالعاج ثم أضاف: «إعجابنا متبادل، أليس كذلك؟».

رأت أن الوقت حان لقول الحقيقة: «من العنق فصاعداً. لن أقترب من جسمك».

تخلى عن التحفظ في نظراته وأخذ يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها، من صدرها إلى خصرها المغري ووركيها وفخذيها. كانت تنتعل حذاءً خفيفاً مرصعاً، عالي الكعبين إلى درجة كبيرة، وكانت تنضح إغراءً ما جعله يشعر بأنه يوشك على الانفجار. فقال وهو ينظر حوله في أنحاء الحديقة المزدحمة: «هذه حكمة منك نظراً للظروف الراهنة».

فقالت: «كنت أعني أنني لا أرغب في أن أقترب منك».

- هل تخشين ذلك؟

- نعم.

كاد يختنق بضحكته: «أنت صادقة في كلامك، وأشهد لك بذلك».

فقالت بابتسامة غامضة: «من أي بلد أنت، يا سليد؟»

أجاب متقبلاً تغييرها للموضوع: «من مانهاتان. وأنت؟».

- من ميلانو.

- أهذا لهجتك إيطالية؟

- ليس تماماً. لقد نشأت في فرنسا وأسبانيا.

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- جئت بدعوة.

لم يرضه هذا الجواب، فنظر إلى سروالها الحريري: «قوانين بيل راسخة».

فقالت برزانة: «لقد وصلت باكراً وغيرت ملابسي في المنزل».

- أنت تعرفين بيل جيداً إذن!.

- لم أعرفها قبل الأمس، وكذلك ماغي يارو. كم تبلغ ثروتك بالضبط، يا سليد كاروترس؟

واتسعت عيناها: «آه، كاروترس... ليس كاروترس صاحب الشركات التجارية، والذي يقوم بأبحاث لحماية البيئة بواسطة مصادر الطاقة؟».

- بل هو نفسه.

عادت تسأله بحماسة صادقة ناسية أنه لا يمثل سوى الخطر. طرحت عليه أسئلة حادة ذكية فأجاب عليها، وتناقشا لعشر دقائق في تلوّث الجو والنظام الشمسي.

ورغم اهتمامها واطلاعها، عاد إلى الأمور الشخصية، فسألها: «كم ستمكثين في هذه المنطقة؟ يمكنني أن أريك المشروع الذي ننشؤه خارج لوس أنجلس».

- ليس إلى الحد الذي يكفي لذلك.

- لدي منزل في فلورنسا.

فقالت باسمة: «أمضيت وقتاً قصيراً جداً في إيطاليا».

لا يمكنه أن يدعوها على العشاء الليلة، فقد اعتاد أن يتناول العشاء مع بيل بعد حفلة الحديقة لتتمكن من استخلاص آخر الشائعات.

قال: «أدعوك لتناول العشاء مساء الغد».

فقالت: «لن يكون لدي وقت».

- هل أنت متزوجة؟ مخطوبة؟

طرح عليها هذا السؤال من دون أن يتمكن من إخفاء اللهفة في صوته، فلديه قواعد عدة محددة بالنسبة إلى النساء، وهي ألاّ يقيم علاقة مع امرأة سبقه رجل آخر إليها.

أجابت مؤكدة: «كلا».

- مطلقة؟

- لا.

- تكرهين الرجال؟

ابتسمت كاشفة عن أسنان بيضاء منتظمة، ودار رأسه وهي تقول: «إنني أحب صحبة الرجال».

- الرجال كلهم؟

ضحكت بشكل واضح: «واحد فقط في كل مرة».

ألا يتصرف هو بالشكل نفسه مع النساء؟ فلماذا كره إذن جوابها المرح؟ وقال: «لا أستطيع أن أدعوك على العشاء الليلة لأن موعدي للعشاء مع بيل ثابت كل عام».

طرفت بعينيها. لم يعجبها أن تعلم أن ثمة صداقة قديمة بين سليد كاروترس وبيل، فقالت بهدوء: «ربما. إذن، لا داعي لأن نستمر في الحديث في هذا الموضوع».

- قابليني صباح الغد عند «رصيف الصياد».

- لماذا؟

لأن جمالها الرائع لا يسمح له بالتفكير بشكل قويم، وقال: «لأشتري لك «بوبسيكل» ».

- ما هو هذا «البوبسيكل؟».

- آيس كريم بنكهة الفاكهة. موعد بسيط، كما ترين.

رفعت حاجبيها وقالت: «أنت إذن بخيل».

- لا أظنه يعجبك كثيراً أن أبذّر نقودي.

قالت ببطء، غير مسرورة بمحاولته اكتشاف رأيها: «كم أنت ماهر».

قال: «الساعة العاشرة صباحاً، قرب معرض الفرسان. الملابس غير رسمية».

- هذا لا يليق بسحرك... لأنني أراك ساحراً وجذاباً إلى أقصى حد. أنت قاس، أليس كذلك؟

قال وهو يفكر فيها: «من الصعب أن تجمعي بين الآيس كريم بنكهة التوت والقسوة».

- أنا...

وجاءهما صوت من الوراء:

- سليد... كيف حالك يا صغيري؟

فقال سليد بفتور: «مرحباً، يا كيت. هذا كيت راو، من مانهاتان. من معارفي في العمل. هذه كيلي شاردن، من ميلانو. أين صوفي؟».

لوّح كيت بالكأس التي يحملها في الهواء، وقال: «ألم تسمع؟ حرف (الطاء) الكبير؟».

- لم أفهم.

- الطلاق، محامون. نفقات الزوجة المطلقة. الزواج مرتبط دوماً بالمال، ألا توافقينني الرأي؟

فقالت كيلي ببرودة: «لا أدري».

نظر سليد إليها. كانت شاحبة وفي عينيها نظرة حذرة، لكنها لم تتطلّق أبداً، أو هذا ما أخبرته به.

وقال: «آسف لسماع هذا، يا كيت».

فقال كيت: «يا لك من ذكي يا سليد! فهو لم يتزوج قط يا كيلي، كما لم يخطب».

وانحنى بغير ثبات مضيفاً: «اسم جميل. وجه جميل. لاحظت من قبل كيف يحصل سليد دوماً على نساء حذابات ومثيرات».

فقالت بحدة: «لم يحصل عليّ أحد يا سيد راو. عليّ أن أذهب يا سليد.

www.elromancia.com

سرّني أن أتحدث إليك».

أمسك سليد بكم ثوبها يمنعها من الذهاب، وهو ينظر إلى كيت: «اللعنة عليك، يا كيت. لا ألوم صوفي على تركها لك».

فقال كيت وقد تملكه الفواق: «فهمت الإشارة».

وترك كمها، لكن حرارة أصابعه كانت قد تسرّبت إلى جسدها. وعاد ذهنها ينذرها بالخطر فقالت بصوت لاسع كالسوط: «أنت، إذن، تسامح بالنسبة إلى الطلاق؟».

- الناس يخطئون، رغم أن هذا ليس من رأيي. إذا تزوجت، فسيكون زواجي أبدياً.

- أرجو أن تستمتع بعزوبتك، إذن.

- هل أنت ذات شخصية ساخرة، يا كيلي؟

- أنا واقعية.

- أخبريني السبب.

منحته ابتسامة ساخرة لم تصل إلى عينيها: «هذا موضوع أكثر جدّية من أن يناقش في حفلة في حديقة. أريد واحدة من تلك الكعكات اللذيذة التي رأيتها عند دخولي وكوب قهوة أيضاً».

إنها جادة أكثر مما ينبغي، كما أخذ يفكر مكتئباً، وهو يرى نفسه منجذباً إلى تينك العينين الخضراوين كما لم يحدث له مع امرأة أخرى. وقال: «سأحضر لك ما ترغبين فيه».

خفق قلبها بشكل ضايقها: « (الرغبة) موضوع كبير قابل للنقاش أيضاً. دعنا نقول (أريد). ما أريده هو كعك وشاي».

تملكه الخوف من ألاّ يراها مجدداً فسألها: «هل ستقابلينني صباح غد؟».

كانت واثقة من أنه رجل لم يعتد الرفض. في الواقع، بدا لها قادراً على أن يبيت على عتبة فندقها إذا ما رفضت. ربما من الأفضل أن تقابله في مكان عام، فتستعمل معه طريقتها المعتادة في التخلص من أي رجل لا

يناسبها، ثم تعود إلى منزل بيل وحدها.

قالت رافعة حاجبيها: «وكيف لا أقابلك وأنت ستشتري لي آيس كريم بنكهة التوت؟».

- الساعة العاشرة؟

- تماماً.

تلاشى التوتر من كتفيه: «سأتطلع إلى ذلك».

وكان قوله هذا أقل كثيراً مما يشعر به.

قالت بلهجة ملتوية: «سأعود إلى أوروبا في اليوم التالي».

- وأنا سأسافر إلى اليابان.

طرفت بعينيها: «قد أنام غداً حتى الظهر».

فقال بابتسامة عريضة: «ألا تريدين المخاطرة؟ أم تراني أبدو متغطرساً للغاية بقولي هذا؟».

فقالت: «مجازفاتي مدروسة سلفاً دوماً».

فقال: «هذا تناقض».

- كم امرأة أخبرتك أن ابتسامتك أشبه بالديناميت؟

- وكم رجلاً أرادوا أن يدفنوا أيديهم أو قلوبهم في شعرك؟

- أنا لا أقرأ ما في القلوب.

- ولا أنا. من الأفضل دوماً أن تكون الأمور علنية.

بدا عليها الندم لعزمها على مقابلته. عليه أن يتسلح بالهدوء وإلاّ هربت منه كيلي خارجة من الحديقة، ومن ثم من حياته.

قال وهو يراها ترمش بعينيها: «كعك وشاي».

كانت أهدابها طويلة بشكل جميل وحاجباها أشبه بجناحين. تأبطت ذراعه، فسرى هذا الاتصال في جسده. وقالت: «كعكتان».

- بل «دزينة». هل هذا ما تريدينه؟

- اثنتان مع أن الواحدة منهما كثيرة عليّ. لكن الحلوى تسرّني.

- أما أنا فأحب ثمار البحر المقلية على الطريقة الفرنسية وكلما ازداد

www.elromancia.com

دسمها كلما كانت أفضل.

- إنها تزيد القدرة الجنسية.

فقال بفتور: «دعينا نقوّم مفاهيمنا. أولاً أنا أكره الإشارات المبطّنة. ثانياً، أنا أخرج مع النساء بكل تأكيد، لكنني لست عابثاً وأكره الاختلاط الفوضوي غير الجاد بين الجنسين».

فكرت بارتياح في أن خطتها ستنجح، وقالت: «إنها حديقة ساحرة، أليس كذلك؟».

ولأول مرة، منذ قابلها، نظر من حوله. أحواض كبيرة تنبت فيها ورود عبقة الرائحة متفتحة، وفرقة موسيقية تعزف. ظلال أشجار النخيل والسنديان تمتد على الأعشاب الشديدة الاخضرار التي تطأها الآن الأقدام. أما النساء في أثوابهن الزاهية فبدون له كالأزهار.

كانت حديقة بيل تقوم على قمة إحدى تلال المدينة. كان النسيم يعبث بخصلات شعر كيلي المتشابكة فمدّ يده وأزاح خصلة منه إلى خلف أذنها وهو يقول: «يا للفتنة».

ابتعدت عنه قليلاً، ثم سألته: «هل ترى بيل كثيراً؟».

- ليس كثيراً، فعملي يدفعني إلى السفر على الدوام، ومقري في «الساحل الشرقي»... كيف تعرفت أنت إليها؟

أجابته بغموض، فلا أحد سوى بيل يعلم سبب وجودها هنا: «من خلال صديقة مشتركة. انظر إلى تلك الحلوى. أتظن أنّ بإمكاني أن آكل إحداها من دون أن تسيل القشدة على ذقني؟».

- هل هي مجازفة أخرى مدروسة سلفاً؟

- سآخذ واحدة فقط.

أتراه رأى ما هو أكثر إغراءً من مشهد كيلي وهي تلعق بلسانها القشدة السائلة على شفتيها؟ رغم أن كلمة إغراء لا تعكس مشاعره البدائية المدمرة، أو إحساسه بأنه يهوي ويهوي إلى مكان غامض.

- ألن تأكل شيئاً يا سليد؟

- ماذا؟ آسف، طبعاً سآكل.

تناول كعكة محشوة مربعة الشكل وقضمها. كانت محشوّة تمراً... وهو يكره الكعك المحشو بالتمر، وقال: «في الصيف الذي تعلمت أمي فيه تحضير الحلوى بالشوكولا، زاد وزني ووزن أبي، ثلاثة كيلو غرامات تقريباً».

- أين نشأت؟

- في مانهاتان. ما زال والداي يعيشان هناك. أمي تتبع نظاماً صحياً الآن، يقتصر على شطائر فول الصويا والسلطات.

- وما رأي أبيك في ذلك؟

- إنه يأكل معها فهو متيّم بها. يأخذها مرة في الأسبوع، على الأقل، للعشاء في قرية «سوهو» أو «غرينوتيش» ويقدم لها الحلوى. وفي اليوم التالي تعود إلى الحمية.

ورقّ صوته وهو يضيف الجملة الأخيرة، فقالت: «هذا شاعري للغاية».

لكن صوتها كان حاداً للغاية، فقال: «لكن التسلية لا تبدو عليك».

- أنا لا أؤمن بالحياة الزوجية، سواء مزجت بالحلوى أو الشوكولا، تلك هي بيل... أرجو المعذرة يجب أن أتحدث إليها قبل أن أغادر الحفلة. سأراك غداً.

وضعت كأسها على المائدة بحدة ما جعل الشاي ينسكب في الصحن ثم شقّت طريقها بين الجموع نحو بيل، بينما بدا شعرها أشبه بمنارة بين القبعات الملوّنة وأخذ سليد ينظر إليها وهي تذهب.

رغم ادعائها أنها لم تتزوج قط، إلاّ أن رجلاً ما تعامل معها بفظاظة من دون شك.

وتمنى لو يقتل ذلك النغل.

ربما ستحدثه بيل عن هذا بالتفصيل الليلة.

أراد أن يعرف كل شيء عن كيلي تشاردين.

٢ - الجوهرة الهدية

ذلك المساء انتظر سليد حتى أصبحا هو وبيل، في منتصف وجبة العشاء في المطعم الفرنسي الكائن في «ثوب هيل»، قبل أن يقول: «لقد تعرفت إلى كيلي تشاردين في حفلتك عصر هذا اليوم، يا بيل».

جمدت يدها التي تحمل بها الشوكة في الجو. كان شعرها رمادي اللون لم تصبغه، وبذلتها برتقالية زيّنتها المجوهرات الذهبية التي التمعت على ضوء الشموع. أما عيناها فكانتا تتألقان دهاء. كان سليد أحد القلائل الذين يعرفون كم تخصص من ثروتها للمستشفيات والفقراء.

قالت: «كيلي فتاة جميلة».

- حدثيني عنها.

- لماذا يا سليد؟

- إنها تثير اهتمامي.

- في هذه الحالة، سأدعها تحدّثك عن نفسها بنفسها. هذه الصلصة لذيذة، أليس كذلك؟

- هل هذه هي كلمتك الأخيرة؟

- كلمتي الأخيرة هي ألاّ تعبث مع كيلي.

- العبث ليس من عادتي.

- أحقاً؟ في الخامسة والثلاثين، غير متزوج وبالغ الثراء وجذاب للغاية... فلماذا لم تختطفك امرأة قبل الآن؟ لأنك ماهر في البقاء بعيداً عنهن.. أريدك ألاّ تعبث مع كيلي تشاردين.

- بدت لي وكأنها قادرة على رعاية نفسها.

- إنها ممثلة جيدة.

بدا الانزعاج واضحاً على بيل. لم يشأ أن يسأل عن سبب عجز كيلي عن الدفاع عن نفسها. واستمر يأكل مفكراً، ثم قال: «بدت ماغي يارو في مظهر حسن جداً».

أطلقت بيل ضحكة متقطعة غير مهذبة: «لا أدري لماذا دعوتها. إنها تزداد فحشاً وقلة تهذيب كل عام. كادت تقطع رأس أحد الندل بعصاها الخيزرانية. هل رأيت ما كانت تلبسه زوجة السيناتور؟ بدت وكأنها نهبت متجر أزهار».

كان أكثر حكمة من أن يسألها عن سبب تساهلها في تطبيق نظام الملابس على كيلي. وسألها: «ألم يُتلف مرجك الأخضر من دوس الكعاب العالية؟».

فأجابت: «جيل كامل من النساء أصبح عاجزاً، فأي بقعة من الأعشاب تقارنها بذلك؟».

رفع كأسه قائلاً: «نخب حفلة السنة القادمة».

منحته ابتسامة حلوة نادرة من ابتساماتها التي يحبها... وقالت: «احرص على أن تحضر حينذاك، يا سليد. سأعتمد عليك».

- سأفعل.

لم تكن علاقاته تدوم أكثر من ستة أشهر. حينذاك، يكون قد انتهى من أمر كيلي. وبدا غريباً أن يشعر بوخزة أسف حادة لهذه الفكرة.

في الصباح التالي سار سليد في الشارع، ماراً بمرسى مراكب صيادي السمك الملوّنة. كان شهر تشرين الأول أجمل شهور المدينة، ترى أين كيلي؟ هل فضّلت أن تبقى في الفندق؟

لم تكن لديه فكرة عن مكان إقامتها، كما أنها ستعود غداً إلى أوروبا.

دار حول السياج الذي يحيط بعرض الفرسان، وعيناه تجولان هنا وهناك. لم ير كيلي. لابد أنها غيرت رأيها. وغضب لعبثها هذا... لكن وراء الغضب هذا شعر بخيبة أمل عميقة أفزعته.

www.elromancia.com

ولفتت بصره حركة. ثمة امرأة تلوّح له بيدها. إنها كيلي جالسة على سرج مذهّب لحصان طويل العنق، يعلو بها وينخفض بينما هي متشبثة بعنقه. ولوّح لها بدوره وقد تبدد توتر كتفيه.

لقد جاءت، والبقية عائدة إليه. كانت حافة قبعتها العريضة المزينة بالأزهار تعلو وتهبط مع حركة الحصان. وكانت ساقاها عاريتين، طويلتين، رشيقتين.

انزلقت من فوق الحصان إلى الأرض. كانت ترتدي تنورة منقوشة بالأزهار مع بلوزة خضراء متوهجة إلى حد أزعج عينيه، تتماشى مع لون حذائها. وفكر سليد في أنه ينبغي منع ارتداء التنورة، وإلا كيف سيتمكن من التفكير مع هذه المشاعر التي لم يشعر بمثلها من قبل؟

سارت كيلي نحو سليد وقلبها يخفق لمظهره الرجولي وقامته الطويلة وكتفيه العريضتين وساقيه الطويلتين، وهالة القوة التي تحيط به.

وقفت أمامه وقالت بالإيطالية: «صباح الخير».

أجاب باللغة نفسها: «كيف حالك؟».

- بأحسن حال. شكراً.

ومنحته ابتسامة مشرقة بهرته وهي تقول: «هذا مكان مرح يا سليد، وأنا مسرورة لأنك اخترته».

فقال بحزم: «آيس كريم بنكهة الفواكه».

وقادها إلى كشك مزين بمجموعة من البالونات.

اختارت نكهة العنب بينما اختار هو التوت، ثم سارا معاً يجولان على المحال متعمداً أن يبقى الحديث مرحاً. كانت بيل قد أكدت له شكوكه عن أن كيلي سبق وعاشت تجربة سيئة جداً، وبالتالي عليه أن يكون صبوراً للغاية معها.

صبوراً! بينما هي سترحل غداً إلى باريس؟

صبوراً!

وتفرجا على ممثل موهوب... وفيما هما يستمعان إلى موسيقي قليل

الموهبة نوعاً ما، قالت كيلي فجأة: «هل استمتعت بالعشاء مع بيل؟».

- نعم. تحدثنا طويلاً عن الماضي، فهي تعرف والديّ منذ سنوات.

- نعم. والداك المحترمان.

فقال بلهجة مثل لهجتها: «أنا أحب والديّ ولن أعتذر على ذلك».

فقالت: «شعورك نحو والديك ليس من شأني».

مد يده يمسح ما سال من الآيس كريم على فمها: «لما لا تؤمنين بالحياة الزوجية السعيدة؟».

- سبق وأخبرتك أنني واقعية. انظر إلى جمال ذينك القرطين.

وجرّته إلى كشك يبيع أقراطاً من الأصداف البحرية باللونين الوردي والفيروزي. رفعت واحداً منها إلى أذنها ثم سألته: «ما رأيك؟».

- إنه يتناقض مع لون كنزتك، ولكنك ستبدين رائعة الجمال مهما كان ما تلبسينه.

فضحكت: «أنتم الأميركيون... صريحون للغاية. أعني الأقراط، يا سليد. الأقراط».

- إنهما يناسبان لون عينيك. دعيني أشتريهما لك.

- وبهذا أكون مدينة لك؟

- بهذا سيسترني أن أدرك أنك قد تفكرين بي أحياناً.

- أعدك بذلك. سأفعل أحياناً.

ونزعت القرطين الذهبيين اللذين تضعهما في أذنيها، ثم وضعتهما في حقيبة يدها، فيما ازداد اقتناعها بصعوبة التخلص من هذا الشعور بالمودة الذي يتملكها نحو سليد. أليس في هذا ما يهدد سلامها الداخلي؟

- اسمحي لي.

وأمسك بالقرطين يعلقهما في أذنيها. كانت بشرتها بالنعومة التي تصورها، واشتعلت الرغبة في أعماقه.

بدت زرقة عينيها قاتمة وكأن سحابة غطت البحر. أخرج محفظة نقوده ودفع ثمن القرطين، وهو يقول: «إنهما يناسبانك بشكل رائع».

www.elromancia.com

فقالت بصوت أبح: «شكراً».

فرد بلهجة رسمية: «بكل سرور».

تكهرب الجو بينهما بفعل انجذاب أحدهما نحو الآخر، وقال سليد فجأة: «أنت تعلمين كم أرغب فيك. وربما هذا منذ اللحظة التي تعارفنا فيها».

- نعم، أعرف. لكن هذا لا يعني أننا سنفعل شيئاً عدا الاستمتاع معاً بصباح مشمس في شهر تشرين أول. ألست مستمتعاً برفقتي؟

ونظرت إليه وهي تخفق بأهدابها.

فقال: «كثيراً... لا تبحثي عن المديح... يا كيلي».

- أي مكان أفضل لذلك من رصيف الصيادين؟

ضحك بصوت خافت فتابعت بهدوء: «طريقتك في المدح جميلة».

فقال مسمّراً نظراته عليها: «حلمت بك أمس بشكل يخجلني أن أصفه. لكن الواقع حقيقي... حقيقي ومحفوف بالمخاطر. هذا هو الصيد، أليس كذلك؟».

فقالت وهي تصرّ على أسنانها: «أنا لا أتورط مع شخص لا أعرفه».

- يمكننا تسوية الأمر بسهولة. بإمكاننا أن نتعارف.

- سليد. أعلم أنني جميلة جداً وأنني غنية، وقد تعلمت أن أختار رفاقي بعناية. سبق وأخبرتك أنك تخيفني... أنت آخر رجل يمكن أن أقيم معه علاقة.

ما كان عليه أن يتكلم بهذه الصراحة. لكن تملّكه شعور مخيف بأنّ الوقت يضيع بسرعة، والأسوأ هو أن ما من شيء يقوله يترك في نفسها أي أثر حقيقي أو دائم. مرحباً بهذه الخبرة الجديدة! لم يسبق له قط من قبل أن سعى لاجتذاب امرأة فخبرته الوحيدة الهرب من النساء.

قال: «ثمة خباز قريب من هنا يبيع خبزاً محمصاً اعتدت أن أحمله معي إلى البيت».

سمعها تزفر بخفة قبل أن تقول موافقة: «فلنذهب. أتحب أن تطبخ؟».

- نعم، إنه مجرد دفاع عن النفس. غالباً ما أتناول طعامي في الخارج. لكن يريحني جداً أن أبقى أحياناً في البيت وأحضّر طعامي بنفسي. اختصاصي هو فطائر اليقطين وحساء السمك. سأطهيهما لك يوماً ما.

فقالت وعيناها مليئتان بالسخرية: «يوماً ما... ربما».

- بالتأكيد. ولو مرة واحدة على الأقل.

- أنت لا تحب المعارضة.

- ولا أنت يا كيلي، أليس كذلك؟

فضحكت: «ومن يحبها؟ حدثني عن الخبز... لا أظنه شهياً جداً».

فقد صبره من هذه الأحاديث التافهة وتلهف إلى التفاصيل العميقة، فسألها: «كم عمرك يا كيلي؟».

- أنا كبيرة بما يكفي لكي أستمتع بالغزل بدون ارتباطات.

وتوجّهت إلى الرصيف عند آخر مرفأ صيد السمك وهي تتابع: «أما بالنسبة إلى...».

وتعالى صياح وسباب، وإذا بمجموعة من المراهقين تظهر فجأة متدافعة. وبحركة آلية ألقى ذراعيه من حولها وجذبها إليه ليحميها، وقد استقرت قدماه بثبات على الإسفلت. وصرخ أحد الغلمان: «آسف».

لكن أحداً منهم لم يتوقف.

جمد سليد مكانه وهو يرى جسد كيلي ينسحق على جسده، وصدرها على صدره، وقد أحاط خصرها بذراعه. مضت لحظة شعر فيها بأنها تستسلم له.

كانت قبعتها قد وقعت عن رأسها.. فأحنى رأسه باحثاً عن عناق أراده أن يدوم إلى الأبد.

واستسلمت له، استسلاماً رائعاً لأنه لم يكن متوقعاً. رفع يده يتخلل شعرها الناعم المعطر، ثم زاد من عناقه.

نسي أنه على رصيف المدينة، نسي التحذيرات، ونصيحته، وهو يتمتم متخلياً عن أيّ حذر: «أشعر وكأنني انتظرتك طوال حياتي. يا إلهي، ما

www.elromancia.com

أشد رغبتي فيك».

سرت هذه الكلمات في دم كيلي الحار كسيل من الجليد فأعادتها إلى الواقع. جمدت ثم دفعت سليد بشدة: «كفى! ما الذي تفكر فيه؟».

قال بصوت أجش وهو يرفع وجهها بأصابعه ثم ينحني ليعانقها مرة أخرى: «إننا لا نفكر على الإطلاق، كما ينبغي أن يحدث بالضبط».

- سليد. كفى! عليك ألاّ تفعل هذا. لا أريد هذا.

نظر في عينيها: «بل تريدين».

استرخت بين ذراعيه وأراحت جبينها على صدره. وقالت بضعف: «لقد فاجأني تصرفك هذا».

فقال وذراعه حول خصرها: «سنذهب إلى مطعم على الرصيف الممتد في البحر حيث نتناول الغداء معاً، ونتحدث في هذا الموضوع».

فقدت القدرة على المقاومة وبدت خائفة عاجزة. وقبل هو قلبه، وعاد أدراجه معها إلى المطعم المختص بالمأكولات البحرية.

وبما أن الوقت لا يزال مبكراً للغداء، تمكن من أن يعثر على مائدة في زاوية تشرف على الخليج بعيدة نوعاً ما.

تناولت قائمة الطعام، ولاحظ أنها وضعتها على المائدة لتخفي ارتجاف يديها. لكن عندما رفعت نظرها إليه، كانت قد استعادت تحكمها في نفسها وقالت من دون أن تبتسم: «أريد سمك موسى».

طلب الطعام على الفور. وكانت الخدمة سريعة.

وبعد أن ابتعد النادل قالت: «سليد، دعنا ننسى هذا الأمر، ثم نعود للاستمتاع برفقة بعضنا. ما حدث بيننا على الرصيف أخافني ولا أريد أن أكرره. لقد أثبت ما سبق وأخبرتك به. أنا لست مستعدة لما تريده مني. ما من علاقة. هل هذا مفهوم؟».

فقال باختصار وهو يكبح غضبه: «طبعاً هذا غير مفهوم. وكيف يكون هذا فيما ليس لدي فكرة عن سبب خوفك مني؟ أنا لا أنوي الاستسلام بكل تأكيد».

- أنا لم أقل إنني أخافك. لكننا غريبان عن بعضنا البعض، وسنبقى غريبين. هذا ما أقوله.

- أريد أكثر من هذا بكثير.

- لا نستطيع أن نحصل دوماً على ما نريد، وأنت كبير بما يكفي لتدرك ذلك.

- لقد بادلتني العناق يا كيلي، وسأحصل على ما أريد.

احمرّ وجهها: «لا. لن تحصل».

وتناولت حقيبة يدها بسرعة. حان الوقت لتعتمد خطتها الدفاعيّة المعتادة مع الرجل الذي لا يقبل بكلمة (لا) جواباً. ألم تعلم، عندما غادرت الفندق هذا الصباح، أنها ستحتاجه مع سليد كاروثرس؟

أخرجت مغلفاً وطرحته على الطاولة: «عليك أن تلقي نظرة على هذا».

- هل ستقطعين شهيتي؟.

- انظر إليه فقط.

كان المغلف مليئاً بقصاصات من صحف مختلفة بمساحة أوروبا. وكانت صورة كيلي تتصدر كل مقالة. هنا شعرها مرفوع، هنا مسترسل، في ملابس السهرة ومتزينة بالمجوهرات. وفي كل صورة، كانت بصحبة رجل مختلف من الأرستقراطيين والفنانين ورجال الأعمال، ولم يبدُ أحد منهم تعيساً بمرافقة هذه الفتاة الغنية والأنيقة والساحرة المدعوة كيلي تشاردين.

سألها: «ماذا تحاولين أن تخبريني؟».

- كيف يبدو لك هذا كله؟

- يبدو وكأنك تخرجين مع كثير من الرجال المختلفين.

رفعت حاجبيها: «أخرج معهم؟».

- أتحاولين أن تخبريني أنك تفعلين أكثر من هذا مع هؤلاء كلهم؟

- إفهم ما تشاء.

لم تقل الحقيقة... كان عليها أن تقول: لا. لكن سمعة الانتقال من

www.elromancia.com

رجل إلى آخر مفيدة جداً أحياناً، وهي حالياً بحاجة إلى كل سلاح يمكنها أن تضع يدها عليه.

وتابعت كيلي تقول: «إذا أردت أن تتطور علاقتنا فعليك أن تعلم ما ينتظرك. أنا أخرج مع كثيرين، وهذا ما أرغب فيه».

كان شعرها يلمع في الضوء، بينما هو يقلّب قصاصات الجرائد: «سأصبح إذن رجلاً آخر تضيفينه إلى القائمة».

- يمكنك ألاّ تراني بعد الآن إذا لم تعجبك طريقة عيشي.

لم يعجبه هذا على الإطلاق، وسألها: «أتقولين إنك لن تكوني مخلصة لي طوال مدة علاقتنا؟».

- هذه هي الفكرة عموماً.

وعجبت لشعورها بالخجل لأنها خدعته فيما هي تحقق هدفها إذ ترسل سليد في الاتجاه المعاكس لتتخلص منه بأسرع ما يمكن.

نظر سليد إلى طعامه. لم يكن جائعاً على الإطلاق، لكنه أمسك بملعقته وقال: «أنا أيضاً لدي بعض المبادئ. أولاً، علاقاتي لا تدوم مع النساء ولا أفكر في الزواج. ولكن عندما أخرج مع امرأة ما أخلص لها وأتوقع منها ذلك».

فهزت كتفيها: «دعنا إذن نستمتع بغدائنا ثم نودّع بعضنا البعض».

فقال بنعومة خطيرة: «قد أتمكّن من أن أغير رأيك... بالنسبة للمبادئ».

- لن تنجح في ذلك أبداً.

- أنا أقوم برحلات كثيرة إلى أوروبا. إذا تبادلنا عناويننا الالكترونية فيمكننا أن نبقى على اتصال ثم نتقابل في وقت ما.

فقالت وكأنما فرغ صبرها: «كلا، وأنا واثق من أنك تعلم أن تهجئة كلمة (كلا) متماثلة في اللغتين الإنكليزية والإيطالية».

لم يلتمس شيئاً من امرأة في حياته، ولن يفعل ذلك الآن. فسألها: «ما تتجنبينه حقاً هو الالتزام، فلماذا؟».

وضعت سكينها وشوكتها من يدها ثم واجهته وعيناها الجميلتان تتألقان إخلاصاً: «لا أريد أن أؤلمك، يا سليد. وسأؤلمك إذا لاحقتني، لأننا، كما أشرت أنت لتوّك، نختلف على المبادئ. ولهذا سأنهي الأمر الآن، قبل أن يبدأ».

فقال بحدة: «أنا لا أقرّب امرأة مني إلى حدّ أن يؤلمني فراقها فيما بعد».

فقالت ثائرة: «لماذا لا يدهشني هذا؟».

- لا بد أنك آلمت بعض أولئك الرجال.

- كانوا يعرفون تلك الناحية من شخصيتي، ومع ذلك تابعوا مسيرتهم معي.

حدث نفسه بأن يدع عنه الحيرة ويحافظ على بعض من الكرامة. ما البديل إذن؟ هل يعفر وجهه في التراب؟ إنها ليست الطراز الذي يعجبه.

قال وقد ثار غضبه: «أنت لا تريدين المخاطرة وستتجاهلين ذاك العناق وكأنه لم يكن».

وبجهد بالغ، أبقت نظراتها مشتبكت بنظراته: «هذا صحيح».

- لم يبق شيء ليقال، إذن.

وعاد يتابع طعامه، بينما أخذت هي تسرع في تناول الطعام قدر إمكانها. وفكر حانقاً في أنها لم تفقد شهيتها. ولماذا تفقدها؟ فهو لا يهمها البتة. كان من المنطقي أن يعجب بها لأنها أدارت ظهرها بشكل حاسم لكل أمواله، لكنه ولسوء الحظ، شعر وكأنه بحّار في سفينة غارقة يواجه ملكة جمال.

شربت كيلي العصير ثم قالت له: «أنت مستاء».

فوضع الملعقة من يده بعناية بالغة: «إذا كنت لا تعرفين الفرق بين الاستياء والعاطفة المشبوبة، فأنت أسوأ مما ظننتك».

شحب وجهها، يبدو أنه لم يدرك أنها لم تعرف قطّ العواطف المشبوبة.

تناولت حقيبة يدها وأخرجت منها ورقة مالية ألقتها على المائدة وقالت ببرودة: «هذا ثمن غدائي، الوداع يا سليد».

www.elromancia.com

وقفت وسارت مبتعدة عنه، فيما بذل هو جهداً مضنياً كي يبقى مكانه. اللعنة عليه إذا هو لحق بها.

تناول كأس الماء وأفرغها في فمه، ثم عاد إلى طبق السمك. إذا كان الأمر قضية تصارع الإرادتين، فسيكون هو من يتحكم في نفسه وليس هي. ولهذا عليه أن ينسى ذلك الحلم الذي أزعج نومه طوال الليل.

لكن الكرسي الخالي أمامه لم يكن حلماً، ولا حتى المال الملقى على الطاولة. وبدا له المال وكأنه الإهانة الأخيرة.

سيعطيه لأول متسوّل يصادفه.

ومن خلال النافذة، أخذ ينظر إلى مياه الخليج وهي تتألق في ضوء الشمس. شعر وكأن جوهرة لا مثيل لها أهديت إليه، لكن وقبل أن يتمكن من لمسها، اختطفت منه.

٣ - لن أتصل بك!

في الثالثة من عصر ذلك اليوم، كان سليد في غرفته في الفندق يطلب رقم سارة هتشنسن طاهية بيل التي يعرفها منذ سنوات، والتي تحضر حلوى يحبها بقدر حبه لصانعتها. وعندما ردت عليه، قال: «مرحباً سارة، أنا سليد كاروثرس».

- السيد سليد؟ يا للمفاجأة. كيف حالك؟

تبادلا الحديث دقائق عدة ثم قال سليد بعفوية: «لقد أضعت مفكرة مواعيدي. ستتناول السيدة هايوارد العشاء مع كيلي تشاردين الليلة، أليس كذلك؟».

وانتظر جوابها وقلبه يخفق بشدة حتى خشي أن تسمعه عبر الهاتف. وأجابت: «هذا صحيح. في الساعة السابعة».

- هل هما الإثنتين فقط؟

- إنه عشاء خاص. هذا ما قالته السيدة هايوارد.

- هذا عظيم. سأتصل ببيل في الصباح إذن. لا حاجة لأن تذكري لها اتصالي هذا يا سارة. ستظن أني أعاني من ضعف في الذاكرة.

كل ما عليه أن يفعل الآن هو أن يتخذ قراره. هل يقتحم بوّابة منزل بيل؟ أم يقصد مكاناً للهو حيث ينسى خسارته؟

أخذ سليد يسير في أنحاء الغرفة أشبه بنمر في قفص. لماذا اتصل بسارة هتشنسن؟ لماذا لم يستطع أن يتقبل، ولو مرة في حياته، أنّ امرأة ما رفضته؟ كان الجواب بسيطاً، وهو أنه يرغب في كيلي كما لم يرغب في امرأة من قبل.

ولكن هل كان الأمر بهذه البساطة؟ كانت كيلي بين ذراعيه حارة للغاية

www.elromancia.com

ثم تملكها خوف شديد من تجاوبها هذا. لم يكن تجاوبها زائفاً... وهو يقسم على ذلك. لقد لمس مشاعرها بشكل ملأها رعباً.

حسناً، كانت ماهرة للغاية حين أخرجت قصاصات الصحف، رافضة أي تفاهم على الإخلاص، ومن ثم تركته وذهبت. لقد عبثت به بينما تعلق هو بها.

لن يحدث هذا مرة أخرى. لن يجلس هنا ليرى كيلي تفلت من بين يديه مرة أخرى. إنه يريدها وسيحصل عليها، وبشروطه. لكن هذا يعني أن عليه أن يعد خطة الليلة، وقبل التاسعة والنصف.

وفي التاسعة والنصف، كان سليد يضغط على جرس باب السيدة هايوارد. لم تكن لديه أي فكرة عما عليه أن يفعل. لكنه، هذه المرة، سيكون هو المتحكم بالموقف.

أدخله رئيس الخدم ثم تركه في غرفة الإستقبال حيث تنتشر صور الأسرة في إطارات من الفضة.

رأى بجانب المدفأة لوحة زيتية فاقترب ليتأملها. كانت تمثل رجلاً مقيداً يقوده ثلاثة حراس مسلحون نحو كهف مظلم، وأدرك سليد على الفور أن السجين لن يخرج قط إلى ضوء النهار مرة أخرى.

كان هذا كابوسه الدائم، ذلك الكابوس الذي عذبه منذ كان في الحادية عشرة. ابتعد عن اللوحة، وأخذ يحدّق في لوحة أخرى بريئة تمثل مرجاً في ضوء الشمس.

هتفت بيل: «سليد. ماذا حدث؟ والداك؟ تبدو فظيعاً!».

جاهد ليدفن الكابوس في أعماق نفسه. ورغم أن بيل تعرف السبب، إلا أنها لم تكن تعلم مدى تأثيره فيه، ولم يفكر هو في أن يخبرها.

قال: «لم أكن أقصد أن أخيفك. والداي بخير. وأنا هنا لأنني أريد أن أرى كيلي».

تلاشت ابتسامتها، وقالت: «كيف عرفت أنها هنا؟».

- عرفت ذلك من سارة وعليك ألاّ تلوميها. أنا وكلي تناولنا الغداء

معاً اليوم، يا بيل. لكننا لم نتفق نهائياً على اجتماعنا المقبل. سأرحل إلى اليابان غداً وهي عائدة إلى أوروبا. لذا، فكرت في أنه من الأسهل أن آتي إلى بيتك وأوصلها إلى فندقها.

وصمت لحظة ثم أضاف: «لا أريد أن تتوارى كيلي من حياتي ففيها ما استحوذ على أفكاري».

فقالت بفتور: «إذا لم تشأ أن تذهب معك إلى الفندق، فلن أدفعها إلى ذلك».

تردد: «قالت إنها خرجت مع كثيرين. ولكن عندما عانقتها، تصرفت وكأنها أرنب مذعور. هل لديك فكرة عن السبب؟».

- إن كان لدي فكرة فأتظنني أخبرك؟

- لن أؤلمها يا بيل.

- إذن عليك أن تخرج الآن.

فقال متوتراً: «أنت تعرفينني منذ طفولتي. هل رأيتني ألاحق امرأة من قبل؟».

- رأيتك تعامل النساء وكأنهن تحف، لكنهن لسن جديرات باهتمامك الكامل.

أجفل: «كلي تستحوذ على اهتمامي الكامل بمجرد وجودها في الغرفة نفسها. لهذا، هي مختلفة عن الأخريات».

- هذا ما يقولونه جميعاً.

- أنت صديقة قديمة، وأنا أريدك أن تثقي بي. لقد أفقدتني كيلي اتزاني. لم يسبق أن حركت امرأة مشاعري إلى هذا الحد. كل ما أريده هو أن أعيدها إلى الفندق.

- وإذا ما رفضت؟

- لن ترفض.

فقالت بحدة: «إذا آلمتها... فلن أدعوك إلى حفلتي القادمة في الحديقة».

وكان هذا تهديداً رهيباً فقال: «بيل، سأخرج من هنا بعد أن أراها.

www.elromancia.com

أريد كيلي. وأشعر في أعماقي بأنها لا تهرب مني حقاً بل تهرب من نفسها، ولا يهمني مقدار ذرة ما إذا بدا هذا القول غطرسة مني».

نظرت بيل إليه لحظة طويلة، ثم قالت: «سأسألها عما إذا كانت تحتاج لمن يعيدها إلى الفندق».

وبعد أن أغلقت الباب الكبير خلفها، دس سليد يديه في جيبيه ثم نظر إلى السجادة المطرزة التي لا تقدّر بثمن. شعر وكأن حياته معلقة بما سيحدث الآن.

لِمَ هذا مثير إلى هذا الحد؟ إن ما يريده هو علاقة عابرة لا أكثر ولا أقل!

وبعد خمس دقائق، فتح الباب لتدخل منه كيلي تتبعها بيل. اهتز بشكل واضح وهو يرى في أذنيها القرطين اللذين اشتراهما لها.

قالت باختصار: «قلت لك وداعاً هذا الصباح».

- لم تكن تلك كلمة وداع بل أشبه بإلى اللقاء.

- فندقي قريب جداً من هنا، ويمكنني أن أذهب مشياً.

- إذا لم تذهبي معي فستضطرين إلى الذهاب في الإسعاف.

حملقت كيلي فيه ثم نقلت بصرها إلى بيل: «هل هذا الرجل صديقك؟».

فأجابت بيل بهدوء: «لو لم يكن كذلك لما استطاع أن يدخل إلى المنزل».

زفرت كيلي. لم تشعر بالغضب قط من قبل كما تشعر الآن. إنها غاضبة وخائفة ومحرجة لكنها سعيدة برؤيته. سعيدة؟ وهذا الرجل يهدد بأن يهدم حياتها الشبيهة ببيت واهن من الكرتون. قالت: «لا بأس يا سليد. يمكنك أن توصلني إلى الفندق، لكن فقط لأنني لا أريد أن أضيّع وقتي في الجدال معك».

فقال بابتسامة عريضة: «هذا عظيم».

فقالت ثائرة: «يجب أن يتم إعلان أن ابتسامتك مهلكة لكل فتاة فوق الثانية عشرة».

كبحت بيل ضحكتها: «عليك أن تعترفي بأنه حاد الذكاء، يا كيلي».

فقال مجفلاً: «حاد الذكاء؟».

قالت كيلي بحدة: «ذكاء!».

- من المؤكد أن ثمة الكثير من الكهرباء بينكما.

وضع سليد الشال حول كتفي كيلي وقد جفّ فمه، بينما قالت بيل وهي تقبل كيلي على وجنتها: «ستتحدث في الأسبوع القادم».

فقالت كيلي برقة: «الاثنين أو الثلاثاء. شكراً يا بيل».

فقالت بيل: «سليد رجل طيب».

ابتسمت كيلي متهكمة: «ربما يعجبني الرجال السيئون».

فقال سليد بصوت كالفولاذ: «سواء كنت طيباً أم سيئاً أم عادياً، فأنا لا أحب أن يتحدث الناس عني في حضوري وكأنني غير موجود».

فقالت بيل بمرح: «الشخص العادي ما كان ليعجب أياً منكما، تصبحان على خير».

خرج الاثنان في الظلام البارد. كان الجوّ عابقاً برائحة الورود. مدّ يده واقتطف زهرة صفراء، فوقفت كيلي جامدة كالتمثال وهو يغرزها في شعرها، قائلاً: «أظنها ستثبت».

فقالت: «أنت شاعري ميئوس من إصلاحه».

فردّ بحدة: «ما زلت تضعين القرطين الصدفيين. ألا يجعلك هذا شاعرية، أنت أيضاً؟».

- إنهما يتلاءمان مع ثوبي.

- ها نحن نتجادل مرة أخرى.

- ما أبعد هذا عن الشاعرية!

ساعدها في الصعود إلى السيارة فأخذت تسوي ثوبها متمهلة وعندما انتهت قالت له باسمة بكل هدوء: «شكراً».

تنفس بعمق ثم صفق الباب خلفها واستدار نحو مقعد القيادة. الخطوة التالية هي أن يقنعها بعلاقة عابرة وسينجح في ذلك. قال: «سأدعوك لشرب فنجان قهوة في الفندق».

كانت كيلي قد استطاعت أن تستجمع أفكارها ورأت أن الوقت حان

للجوء إلى الدفاع عن نفسها للمرة الثانية. هذه المرة لن تتردد في استخدام وسيلة معينة كانت واثقة من أنها ستنجح. وكانت تدعو هذه الوسيلة بالاختبار، وهي نادراً ما تفشل.

قالت: «القهوة فكرة حسنة».

اعتبر أنه اجتاز الحاجز الأول فركّز اهتمامه على القيادة. وبعد أن ترك السيارة مع موظف الفندق، قاد كيلي إلى صالة فخمة تتميز بالرخام، وخشب الورد، والسجاد العجمي، والأزهار الاستوائية، ما ينبئ بأن المال قد أنفق لإسباغ الروعة على هذا المكان.

قال: «توقعت أن تختاري مكاناً أقل بذخاً من هذا».

- بل هي من حجز لي.

كان هذا ذوق بيل بكل تأكيد.

عند المشرب، كانت مغنية «جاز» تعزف على البيانو وتدندن بأغنية. انتظر سليد حتى أحضر النادل لهما القهوة، ثم قال: «قصاصات الصحف التي أريتنيها هذا الصباح صدمتني يا كيلي، وهذا كان قصدك من دون شك. كما أنني لم أحب شروطك».

أخذت رشفة من قهوتها، ثم قالت: «أنت اعتدت ملاحقة النساء لك».

- لدي مال كثير وهو أكثر إثارة للرغبة.

فرفعت حاجبيها: «والآن، من الساخر منا؟».

مال إلى الأمام وقال بكل ما في شخصيته من قوة: «كلي، أريدك... وأنا مقتنع بأنك ترديدني أيضاً. إنني كثير الأسفار ما يمكننا من الاجتماع في أي مكان تريدينه».

فقالت باتزان، كارهة نفسها لكذبها هذا: «أنا أحب التغيير، ولهذا أحتفظ بمجموعة اختار منها من سأمضي معه وقتاً ممتعاً ثم أنتقل إلى غيره... أخبرتك بذلك هذا الصباح. ولم يتغير الأمر. يمكن أن تعطيني رقم هاتفك إذا شئت. إذا وجدت نفسي وحيدة، سأتصل بك».

إذن، ستجعله ضمن المجموعة كما تسميها، ورفع حاجباً واحداً: «أتحداك أن تخرجي معي، لا بل أتحداك أن تعرفيني جيداً».

انتفخت خياشيمها غضباً: «أنت تتكلم بصبيانية بالغة».

- أحقاً؟ إذا امتنعنا عن المخاطرة، يموت شيء ما فينا.

- يمكن للمخاطرة أن تقتل!

- أؤكد لك أن القتل ليس ما في ذهني.

وفكر في كلمة (قتل) هذه... ووجدها كلمة قوية.

وأخذ صدرها يعلو ويهبط اضطراباً فيما قالت: «الرجال لا يبقون مع المرأة فترة كافية لكي تعرفهم جيداً».

- إطلاق حكم عام دلالة على ذهن كسول.

- لدى أول دلالة على انزعاج، سوف تهرب قبل أن أقول لك وداعاً.

- أنت جبانة ومثيرة.

فرفعت ذقنها بكبرياء: «من أعطاك حق الحكم عليّ».

- انكري ذلك، إذن.

- أنا لست جبانة!

فقال بلطف: «أثبتي ذلك. والأهم هو أن تثبتيه لنفسك».

فقالت بضيق: «أتعني أن علينا أن نتعرف إلى بعضنا البعض، مع أنك تقول إنك لا تقرّب منك أي امرأة إلى حدّ أن تؤلمك».

فقال عابساً: «قد تكونين الاستثناء الذي يثبت القاعدة».

كيف يمكنها أن تفسر ذلك؟

قالت: «أحب حياتي كما هي الآن. ولماذا أغيرها؟».

- لولا رغبتك في تغييرها، لما جلسنا هنا لنتحدث الآن.

كان مخطئاً... مخطئاً للغاية، وقالت: «هل تفعل هذا مع كل امرأة تتعرّف إليها؟».

- لم أضطر إلى ذلك قط من قبل.

- لماذا تزعج نفسك الآن إذن؟

www.elromancia.com

- كيلي، لا أريد أن أكون واحداً من مجموعة. أنا أريدك الآن، أريدك أنت وحدك. لأنني، في أعماقي، لا أصدق أنك جبانة.

قالت بتمرد: «مثيرة فقط».

سألها: «ألا تضجرين من «المجموعة»؟».

فقالت بتقزز: «كلا، حتى الآن أنت سبب ضجري».

- سأشكل إذن تحدياً آخر. واعديني حتى تضجري مني.

ودفع نحوها بقصاصة من الورق: «هذا رقم هاتف مساعدي الشخصي في نيويورك. اسمه بيل وهو يعرف مكاني دوماً».

حدقت في الورقة وكأنها ستمزّقها. ماذا حدث لوسيلة دفاعها الثانية؟ ألم يتحداها أن تخرج معه؟ واندفعت قائلة من دون تفكير: «أموالك لا تهمني. أنا غنية بما يكفي».

- لم يخطر لي قط أنك مهتمة بأموالي.

أدركت أن الوقت حان للاختبار فرفعت بصرها إليه وقالت متكدرة: «حسناً جداً... يا سليد. أنا أيضاً يمكنني أن أتحدى».

- هيا.

- قابلني في «مقهى جينوز» في «مونت كارلو» بعد ثلاثة أسابيع في أي وقت من المساء بعد السابعة والنصف. يوم الأربعاء أو الخميس أو الجمعة.

- حددي اليوم.

فقالت بنعومة: «حسناً، هذا جزء من التحدي. لن أحدد اليوم. إما أنني أستحق أن تنتظرني وإما لا أستحق...».

- ولكن هل ستأتين؟

فالتمعت عيناها: «لقد وعدتك».

- سأنتظرك إذن.

- المكان يبقى مفتوحاً حتى الثانية صباحاً، والموسيقى تصم السمع. لن تنتظر. ما من رجل يمكنه ذلك لأن العالم مليء بالفتيات الجميلات وهن

حاضرات على الدوام.

وابتسمت بخبث، فقال بلطف: «أنت تبخسين من قدر نفسك».

ومدّ إصبعه يلامس خدها حتى ارتجفت، وقال: «سأنتظر».

تملكها الخوف. لا، لن ينتظر. فهذا سليد كاروثرس الذي لم ينتظر امرأة قط في حياته. ردّت رأسها إلى الخلف وقالت: «إذا كنت لا تعرف مونت كارلو جيداً فيمكن لأي شخص أن يرشدك إلى المكان فهو معروف تماماً».

- مونت كارلو... حيث الحياة مقامرة والرهانات مرتفعة.

- المراهنات مرتفعة؟ ربما بالنسبة إليك ولكن ليس بالنسبة إليّ.

وكانت هذه كذبة وقحة أخرى.

- ما كنت لأنتهي حيث أنا الآن لو لم أعرف كيف أغامر كيلي... سأعطي بيل إسمك غداً. يكفي أن تذكريني له حتى يحرص على إيصال أي رسالة منك.

فقالت بهدوء بالغ: «لا بد أنني جننت عندما اقترحت موعداً بيننا».

وبدا عليها الإرهاق، فجرع بقية قهوته وقال: «حُسم الأمر. سأعيدك إلى الردهة، ثم أذهب في طريقي... طائرتي ستقلع في الصباح الباكر غداً».

فقالت جامدة الوجه: «إذن فأنت لن تضغط عليّ الليلة لأستسلم؟».

فتوتر فكه: «أنا لا أغامر حين تكون الأوراق كلها ضدي... فهذا غباء واضح».

- ولكن يصعب التغلب عليك.

فدفع كرسيه ووقف: «سأعتبر هذا مجاملة. والآن هيا بنا، يبدو عليك الإرهاق».

وأمسك بيدها يوقفها على قدميها، ثم وقف قريباً جداً منها ينظر إلى ملامحها، وأضاف بصوت أجش: «أنت بحاجة لنوم ليلة كاملة».

كانت عيناه بالغتي الزرقة وغامضتين للغاية، كما عكستا حساسية بالغة جعلتها تنجذب إليه لا إرادياً. شعرت بنفسها تميل نحوه وقوة الرغبة تجعل

www.elromancia.com

من دفاعاتها هباءً منثوراً. مدت يديها إلى أعلى وعانقته بخفة أشبه بلمسة جناحي فراشة، ثم تراجعت بالخفة نفسها.

كان قلبها يخفق بقوة في صدرها، قوة أكبر من أن تبقيه بعيداً عنها. ما الذي حدث لها؟

ولأول مرة وجد سليد نفسه عاجزاً عن النطق. ثم رفع يدها إلى شفتيه وقبلها بغبطة بالغة، وهو ينظر إلى خديها المتوهجين. واستجمع إرادته، وأحاط كتفيها بذراعه ثم سار عائداً بها إلى الردهة. بدا ضوء الثريا متألقاً للغاية، وقال: «مقهى جينوز. بعد ثلاثة أسابيع. إذا احتجت أي شيء أثناء ذلك، فاتصلي بي».

- لن أتصل بك.

واستدارت على عقبيها متجهة إلى المصعد. ولم تتصل.

٤ - لقاء غريب

يُفترض أن يكون المقهى في مثل هذا المساء الرطب والبارد مكاناً مرغوباً. وكان سليد قد سار من الفندق المطل على مشهد رائع لمرفأ موناكو والبحر الأبيض المتوسط المتلاطم الأمواج، ماراً بحدائق الكازينو الرائعة وصولاً إلى شارع جانبي حيث رأى يافطة مضيئة تحمل اسم «مقهى جينوز». وكان الوقت يشير في هذه اللحظة إلى السابعة والنصف بالضبط.

رأى وقلبه يغوص، أنّ المقهى تحت الأرض، تصل إليه عبر سلّم ضيق ملتوٍ. إنه كابوسه المعتاد، مرة أخرى.

إنه في الخامسة والثلاثين من عمره الآن، وليس في الحادية عشرة، ويمكنه أن يهبط مجموعة من الدرجات ليمضي ست ساعات في غرفة من دون نوافذ أو تهوئة.

كان شبه واثق من أن كيلي لن تحضر قبل الجمعة. إذا كان هذا نوعاً من الإختبار، فلِمَ عليها أن تقابله قبل ذلك؟ إلا إذا ظنت أنه لن يعبأ بالحضور قبل الجمعة. حسناً، من العبث محاولة فهمها للمرة الثانية. أخذ نفساً عميقاً ثم هبط السلم ببطء ودفع الباب الثقيل الأسود اللون.

صدمته الضجة المنبعثة من الداخل. كان صوت الموسيقى عالياً جداً، وهو ليس من أنصار موسيقى «الراب» هذه.

أغلق الباب خلفه وقلبه يخفق بقوة. كانت الغرفة فسيحة والموائد قد صفت في دائرة، تاركة حلبة صغيرة للرقص يعلوها ضوء يخفق ما شتت ذهنه على الفور. وفكر بجنون في أنها غرفة واسعة وليست بحجم الخزانة، كتلك التي لن ينساها أبداً. هيا، يا غلام، يمكنك أن تفعل هذا!

www.elromancia.com

استند إلى الجدار وترك نظره يتنقل من وجه إلى آخر، راجياً من كل قلبه أن يرى وجه كيلي بينها. كان الفتيان يرتدون ملابس ثمينة من الجلد فيما النساء يتألقن تحت الأضواء، لكنه لم ير كيلي.

سار إلى طاولة بجانب الباب، حيث يمكنه أن يرى من يدخل ويخرج، ثم خلع معطفه وجلس. وبشكل آلي، نظر إلى باب الخروج، متمنياً لو أن السقف ليس بهذا الانخفاض، ولو لم يخفضوا الأنوار، ولو لم يعرف كيلي قط.

إن هرموناته تتحكم بحياته، كما أخذ يفكر بعنف. كيف استاء من قوة تأثيرها فيه بجسدها الرشيق ووجهها الرقيق؟ لكن مهما حاول أن يقاوم ذلك التأثير، لم يستطع أن يتخلص منه. ويعلم الله أنه قاوم كثيراً أثناء الأسابيع الثلاثة الماضية.

من الإنصاف القول إن ليس لديها فكرة عن صعوبة الاختبار الذي ابتكرته حين جعلته ينتظر في مقهى تحت الأرض.

رغم تلك السنوات كلها، بقي يبذل جهداً مضنياً لئلاً يفكّر في حادث خطفه الذي غيّر مجرى حياته. في سن الحادية عشرة، اختُطف من الممر الجانبي قرب مدرسته وجُرّ ووُضع في غرفة صغيرة مظلمة تحت الأرض مدة خمسة عشر يوماً وأربع عشرة ليلة.

علم فيما بعد أن الخاطفين طالبوا بفدية، لكن مكتب المباحث اقتفى أثره وتمكّن عناصره من القبض على الخاطفين. عدا عن المخدر، كانوا يحملونه على الهدوء بحقنة في فخذه يعطيه إياها رجل مقنع لم يتحدث إليه قط.

لم ينس قط دموع أمه الصامتة، عندما حضرت إلى مخفر الشرطة، أو الخطوط التي حفرت عميقة في وجه أبيه.

العقدة التي خلّفها في داخله هذا الحادث هي عقدة الخوف من الظلام في الأبنية تحت الأرض. في هذه اللحظة بالذات، كانت راحتاه رطبتين وحنجرته متوترة، وقلبه يخفق بعنف، كحاله وهو في الحادية عشرة

بالضبط.

تقدمت من مائدته امرأة ترتدي سترة من الجلد وتنورة قصيرة، وقالت وهي تزم فمها المصبوغ بالأحمر: «أتريد أن ترقص؟».

- لا، شكراً.

مالت عليه قائلة: «أنت لم تأت إلى هنا لكي تبقى وحدك».

- إني أنتظر شخصاً وأفضل أن أنتظره وحدي. آسف.

قالت وهي تسوّي سترتها الجلدية: «إذا غيرت رأيك، فستجدني عند المشرب».

في الثانية صباحاً، عندما أغلق المقهى أبوابه، كان سليد قد تلقى ست دعوات، وأصيب بصمم دائم. كان متعباً للغاية لكن خوفه من الظلام لم يخفّ.

صعد السلم ثم أسرع نحو الرصيف، داساً يديه في جيبيه، وتوجّه بخطوات واسعة إلى حيث الأبنية المضاءة. من العبث التفكير في النوم قبل أن يتخلص بالسير من ساعات العذاب الطويلة تلك.

عليه أن يغادر موناكو، وينسى هذه المغامرة السخيفة. هل من امرأة تستحق أن ينتظرها أمسيتين أخريين في هذا المكان؟ على أيّ حال، ما الذي يعرفه عن كيلي؟ صحيح أنها وعدته، ولكن هل يستحق هذا الوعد شيئاً؟ وماذا عن عدم حضورها؟ ماذا لو أمضت الليلة في ميلانو مع أحد الرجال الكثيرين الذين ذكرتهم، ساخرة في سرّها لفكرة أنه ينتظرها عند نهر الريفييرا في شهر تشرين الثاني؟

لقد جعلته يبدو مغفلاً. وكره هذا كما كره مواجهة شياطين ماضيه في ذلك المقهى.

ثم كيف يمكنه أن يتلهف إلى امرأة من هذا النوع؟ امرأة تكره الارتباط برجل واحد. وأدرك أنه كان يكبح هذه الأفكار طيلة الأسابيع الثلاثة الماضية.

بدت له ملاكاً، ومع ذلك اعترفت بأنها عرفت العديد من الرجال.

قصاصات الصحف واعترافها الشخصي، تثبت ذلك.

عليه أن يعود إلى نيويورك في الصباح وينسى ذات الشعر الأحمر والعينين الذكيتين المفعمتين بالحيوية. ألم تبذل جهدها منذ البداية كي تثبط همته؟ وكان مكان اللقاء اللمسة الأخيرة. بعد ثلاث ليال من حياته أمضاها في السهر والانتظار من دون جدوى، لن يسرع في البحث عنها.

وهذا يعني، بالطبع، أنها الرابحة.

في الثالثة والنصف وضع سليد رأسه على الوسادة. وفي الخامسة والدقيقة الثانية والأربعين استيقظ فجأة من كابوس رأى فيه إبرة مخدرة تخترق فخذه وتلصقه بفراش قذر. وفي الثامنة من ذلك المساء، كان يهبط مرة أخرى السلم إلى المقهى، لكن كيلي لم تظهر تلك الليلة أيضاً. كما لم تفعل في الساعة الواحدة والنصف ليلاً من الليلة التالية.

وعندما أقبل يوم الجمعة، كان سهر سليد في ذاك المكان قد تحوّل إلى اختبار لشجاعته وقدرته على الاحتمال بقدر ما هو متعلق بكيلي. أراد أن يثبت لنفسه أنه لن يتراجع حتى يقضي ليلة إضافية، وأن السقف المنخفض والزوايا المظلمة لن تستطيع أن تهزمه.

في تلك الليلة، أصابه صداع من قلة النوم ما أفسد مزاجه. وبدا واضحاً أنه بعيد كل البعد عن الشاعرية.

وفي الساعة الواحدة والدقيقة الأربعين، دخلت كيلي، أخيراً.

كان سليد مسترخياً في جلسته عندما وقفت هي عند أعلى السلم تنظر من حولها، وشعرها الأحمر ثائر كعادته. وكافح هو موجة من المشاعر اكتسحته.

عليه اللعنة إذا كان سيخر عند قدميها شاكراً لأنها جاءت أخيراً.

أخذ ينظر إليها وهي تفتش عنه في المكان متأملة الراقصين والجالسين والمجموعات الصاخبة وعلى وجهها نظرة رضا، وكأنها أثبتت وجهة نظرها. رضا امتزج بأسف حقيقي.

وأثار أسفها اهتمامه أكثر مما كان يرغب.

نزلت كيلي آخر درجات السلم ثم مرت عبر باحة الرقص وعيناها تتلفتان يمنة ويسيرة. لم تر سليد في أي مكان. لقد فشل في الإمتحان، توقف قبل أن يصل إلى النهاية، هذا إذاً جاء أصلاً.

قال لها إنه سينتظرها... لكنه كذب عليها.

وشعرت بغصة في قلبها. لقد صدقته حين قال إنه ينتظرها. وها هو أملها يخيب بالرجال مرة أخرى، وهذه المرة آلمها ذلك أكثر. انتصبت في وقفتها ثم حاولت أن تريح عضلات فكها وعادت تشمل الغرفة بنظراتها.

ثمة رجلان وامرأة يتجهون نحوها. ألقت عليهم التحية، ثم رفعت وجهها متحدية وسارت إلى باحة الرقص مع أطول الرجلين.

رأى سليد كيف طوّق الرجل خصرها، فثار غضبه. عبر الغرفة بخطوات واسعة ثم ربت على كتف الرجل، وقال بصوت مرتفع: «إنها لي...».

شهقت مصدومة: «سليد!».

فقال مترفعاً: «هل ظننت أنني لن أحضر؟ اطلبي من صديقك أن يرحل، إذا كان يرغب في أن يعيش».

فقالت للرجل وقلبها يخفق كالطبل: «سأتحدث إليك في ما بعد يا ستيفن. لا بأس به. أنا أعرف سليد».

فقال سليد وهو يقف بجانبها: «كلا، أنت لا تعرفينني... وإلا لما لعبنا هذه اللعبة الغبية».

- أنت وافقت عليها.

- أتعرفين ما أريد أن أفعله هذه اللحظة؟ أحملك على كتفي وأخرج بك من هذا المكان الفظيع.

بدا قادراً على القيام بذلك. فقالت بفتور: «تصرفك هذا لن يعجب الكثيرين».

- لكنه سيجعلني أشعر بتحسن بالغ.

- أقترح أن نطلب شراباً بدلاً من هذا.

- هل تخافين مني يا كيلي؟

- وما الذي يخيفني في رجل طوله مئة وتسعون سنتمتراً ووزنه خمسة وتسعون كيلوغراماً؟

- أنت تعجبينني.

فطرفت بعينيها: «منذ خمس ثوان، كان يبدو عليك وكأنك تريد أن تخنقني».

- ومنذ خمس دقائق بدت خيبة الأمل جلية على وجهك حين ظننتني لم أحضر.

- أنت تبالغ.

- لا أظن ذلك، دعينا نرقص.

- أرقص؟ ومعك؟ هذا غير ممكن.

- جلست في هذا المكان ثلاث ليالٍ طويلة راودتني فيها نساء عن نفسي، وتملكني ضجر شديد، والآن تستكثرين عليّ رقصة؟

لقد انتظرها، ونجح في الامتحان. ما الذي يُفترض بها أن تفعله الآن؟ قالت: «أنت جلبت هذا لنفسك».

كان المكان مزدحماً والموسيقى صاخبة وعيناها تلمعان بمشاعر لم يستطع أن يعرف كنهها. رفعت كيلي ذراعيها إلى الأعلى، وردّت شعرها إلى الخلف وهي تهز جسمها. شبك نظراته بنظراتها ثم أخذ يتبع خطواتها، متعمداً ألاّ يضع إصبعاً واحداً عليها.

بدت له أشبه بإلهة وثنية، ورقصت كيلي... رقصت له وحده. رقصت وكأنهما بمفردهما. رقصت حتى شعر بأنه سيموت بسبب مشاعره.

وتوقفت الموسيقى فجأة فساد الصمت.

وقال المسؤول: «حان وقت الإقفال، أيها السيدات والسادة».

عضت كيلي شفتها وهمست: «فعلتها مرة أخرى، جعلتني أنسى من أنا».

وضع سليد يديه على كتفيها ثم قال: «هذا حسن».

وتابع الرقص لخمس دقائق، محاولاً أن يمحو من ذهنه فكرة أنه في غرفة مظلمة تحت الأرض.

كلي تشاردين هذه امرأة ممتازة.

وقالت: «دعنا نخرج من هنا، أريد هواءً نقياً».

أمسك بيدها بثبات، ثم قادها إلى السلم الضيق.

في الخارج، وتحت السماء ونجومها المبعثرة، أخذت كيلي نفساً عميقاً، محاولة أن تنسى كيف رقصت. بعدئذ، قالت بدهشة فاترة: «أنا جائعة إذ نسيت أن أتناول العشاء».

كان يعبّ الهواء، آملاً ألاّ يظهر عليه الارتياح لخروجه إلى الهواء الطلق. لكن كيلي قالت بحيرة: «ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟».

- أمضيت وقتاً طويلاً محبوساً في ذلك المكان ولست واثقاً من أن طبلتيّ أذنيّ بقيتا سليمتين.

ووضع يدها تحت إبطه وهو يضيف: «الطعام... هذا ما سينفع».

انطلق بخطوات سريعة على الرصيف المضاء بمصابيح. كان الهواء يحرّك أوراق شجر السرو الطويل وسعف النخل. فقالت: «هلاّ أبطأت؟ لقد تعبت».

فقال وهو يبطئ خطواته: «آسف. من أين تعرفين ستيفن؟».

- تعرفت إليه السنة الماضية في «ليس». إنه يصمم اليخوت للأثرياء.

- هل خرجت معه؟

- كلا.

- هل لديك يخت؟

فضحكت: «مجرد وجودي في خيمة على ضفة بحيرة يصيبني بدوار البحر».

- لولا ذلك لاستطعت أن تشتري إحدى يخوت ستيفن.

- أورثني جدي معظم ثروته. إنه بيتون ستيل. هل سمعت عنه؟

- إنه غني جداً جداً.

وخطر له أن والديها ميتان على الأرجح، ما زاد من اقتناعه بأنّ حالتها هذه ناتجة عن شعور عميق بالوحدة.

- هل لديك أخوة أو أخوات؟

- لا.

- ماذا تفعلين في حياتك إذن؟ عدا عن العشاق من حولك.

- أنا لست بحاجة للعمل.

فقال باقتناع عميق أدهشه: «لا تقولي هذا. أنت أذكى من أن تمضي حياتك من حفلة إلى حفلة».

كانا قد وصلا إلى الكازينو بشرفاته وأبراجه المزخرفة ونوافذه الفسيحة وحدائقه المضاءة، ونافورة الماء المميزة. وقالت كيلي متوترة: «أين سنأكل؟».

- فندقي على بعد خمس دقائق من هنا. أحد مطاعمه يقدّم الطعام طوال الليل.

- لن يتعدّى الأمر تناول الطعام، يا سليد!

- لا تدّعي أنك لا تريدين أكثر من ذلك!

فقالت بضيق: «لقد تأخر الوقت».

- أنت على حق تماما. على أيّ حال، أنا لم أقل إنني سأطلب طعاماً إلى الغرفة، بل قلت (مطعم). بعدئذ، سأرافقك إلى فندقك مباشرة.

- سأغادر البلد في الصباح الباكر.

- للاطمئنان على أملاكك؟

- أنا أريد حماية نفسي... ولمَ لا؟

- أنت لا تتصرفين كامرأة تَنتقل من رجل إلى رجل، كثيرة التنقل وخالية البال.

- أنت لست كالآخرين.

وقف تحت أحد مصابيح الشارع: «بأي شيء أختلف عنهم؟».

- أنت عنيف جداً، وسريع الانفعال و... تشغل البال.

- حسناً، هذه بداية.

مرت بهما سيارة سريعة حمراء اللون فأمسكت أي جواب منها. تأبطت ذراعه وسارت وكأن كل الشياطين التي هاجمته في المقهى تلاحقها. إن لديها شياطينها الخاصة. وبقليل من الجهد، يمكنه أن يعرف ماهية تلك الشياطين. يمكن لأي تحرٍ خاص أن يكشف أسرارها خلال أربع وعشرين ساعة، لكنه يريد من كيلي أن تخبره عما في نفسها، ولما رفضها هذا لأي نوع من الالتزام.

قلما يهتم عادة بدوافع المرأة التي يصاحبها.

كان فناء فندقه رائعاً بزخرفته وبالأشجار الغريبة وشجيرات الأزهار، كما يطل المطعم على الصخور الشاهقة والمياه الحريرية القاتمة. ألم تشبّه كيلي عينيه مرة بغموض منتصف الليل؟

عندما جلسا، قال: «لم أحب موناكو قط، بأبنيتها التي تنحدر إلى ضفاف المياه بدون فسحة للتنفس».

- إلى أين تذهب للتنفس، يا سليد؟

كانت عيناها تتأملان قائمة الطعام، فأخذ يجول بعينيه على ملامحها، معيداً اكتشافها بجوع خفي، من حاجبيها إلى شفتيها الرقيقتين وذقنها الحازمة.

أحست بتفحصه لها فرفعت بصرها. التعبير الذي قرأته في عينيه بعث الاحمرار إلى وجنتيها، وقالت بصوت مخنوق: «ليس عليك سوى أن تنظر إليّ».

- ثم...؟

- لا تهتم لذلك، فهو يسيء إلى غرورك كرجل.

ردّ رأسه إلى الخلف ضاحكاً: «أنت تجعلينني أشعر وكأنني صاحب إمارة موناكو».

- مع الكازينو وكل ما فيها؟

وعضت شفتها ثم أضافت: «لم أتوقع أن أراك الليلة».

www.elromancia.com

- هل أنت واثقة من ذلك؟

- معظم الرجال ما كانوا لينتظروني. إنني أسميه اختباراً، وتصورتك ستفشل.

وابتسمت بتعاسة، فضحك وقال: «هذا ما توقّعته».

فانفجرت قائلة: «ولماذا بقيت؟ الزحمة والضجيج وساعات وساعات لا تفعل فيها شيئاً سوى الانتظار؟ لا بد أنك كرهت ذلك».

- كان من المفترض أن نكون معاً. لهذا انتظرتك.

فانفجرت قائلة بتوتر: «أنت تقول هذا وكأنه حقيقة غير قابلة للتغيير».

- وهو كذلك.

كانت قصاصات الصحف خط الدفاع الأول لديها والاختبار الخط الثاني. بقي لديها خط ثالث فقط وعليه أن ينجح: «أخبرتك أنني أخرج مع الكثير من الرجال، يا سليد. واعلم أنني لن أتغير من أجلك أو من أجل أي شخص آخر».

وصمتت ثم أضافت بنعومة: «إذا كان للبحّار فتاة في كل مرفأ، فأنا لي رجل في كل مدينة كبيرة في أوروبا».

وأغلقت قائمة الطعام، قائلة: «سأطلب سلطة «نسواز».

ظهر النادل بجانب مائدتهما: «سيدتي، سيدي؟».

وبعد أن طلبت كيلي ما تريد، طلب سليد مياهاً غازية ولحوماً حمراء مطهية مع الأعشاب والثوم.

وعادا إلى نقاشهما، فقال وهو يعد على أصابعه: «أولاً، ليس لدي صديقة أخرى، ولا أنوي أن أتخذ واحدة... فأنت من أريد. ثانياً، لقد أريتك الليلة أنني أهل للاستمرار... ولاجتياز ذلك الامتحان السخيف».

وبدا عليه شيء من الغضب وهو يتابع: «متى وأين سيكون موعدنا القادم؟ هذه المرة سيكون في وقت معيّن في يوم معيّن».

عاد النادل بما طلبه سليد. ألقت كيلي نظرة عفوية على الورقة الملصقة

على الزجاجة فشحب وجهها... وصدرت عنها شهقة فزع مسموعة.

فقال بحيرة: «كان عليّ أن أستشيرك. أتكرهين هذا النوع؟ إنه ممتاز ويساعد على الهضم».

فتمتمت: «لا. إنه جيد. أنا... أعرف الشخص الذي يمتلك المصنع. هذا كل ما في الأمر».

وبدت وكأنها موشكة على البكاء. هل الرجل الذي سبّب لها الأذى هو هذا صاحب المياه؟. هوذا لغز آخر.

رفع سليد كأسه وقال: «نخب الأمكنة التي يمكننا أن نتنفس فيها».

رفعت كأساً وكأنها توشك أن تشرب سماً: «نخب الحرية».

وبدا وكأن قلبها سيتحطم. قال سليد ببساطة: «أتذكّر أنه كان لوالديّ بيت على ساحل «مين». كان بيتاً قديماً ذا شرفة واسعة تواجه البحر، وشاطئ خاص، تحيط به أرض مشجرة. لطالما أحببته... كانت الرياح تهب علينا من البرتغال. وكان الهواء من النقاء بحيث بإمكانك أن تملئي رئتيك من الملح والضباب».

فقالت بجمود: «أنت محظوظ جداً».

لم يكن لديه فكرة عما يحدث. هل يجذبه هذا الغموض الذي يحيط بكيلي، وهذا الانجذاب يزداد في كل مرة يراها فيها؟؟ قال: «كنت محظوظاً بشكل استثنائي لأني نشأت في ذلك البيت في «مين»».

وراح يحدّثها عن بعض مغامراته عندما كان غلاماً على الشاطئ الصخري، راجياً أن يريحها هذا.

وجيء بالطعام. نظرت كيلي إلى سلطتها، والخبز المحمص وشعرت بشهيتها تتلاشى. وعندما أمسكت بالشوكة، قال سليد: «سأغيب في الأسبوعين القادمين. سأجول على بعض المصانع في روسيا وسيبيريا، لكن بإمكاننا أن نلتقي بعد ذلك».

قالت: «بشروطي».

فقال بلطف: «للوقت الحاضر فقط».

www.elromancia.com

فكرت في أنه لا ينسى وأنّ عليها أن تهرب منه بقدر ما يمكنها من السرعة. قالت بسرعة وهي تنظر إلى صحنها: «حينذاك، سأكون في الدانمارك. يمكننا أن نتقابل في «تيفولي» في كوبنهاغن. عند ذلك، سيكون سوق عيد الميلاد السنوي قد أفتُتح».

- ماذا ستفعلين في الدانمارك؟

كان هذا سرّها الذي لا تريد إشراكه به، فقالت: «الحرية تعني ألاّ تضطر لأن تحسب حساب أحد في الطريقة التي تمضي بها وقتك».

- لعل هذا يعني أنه لم يبق لديك ما تخسرينه؟

- لا يمكنك أن تخسر ما لم تمتلكه قط.

عندئذ، قال بهدوء: «قلت إنّ جدك ترك لك أمواله. متى مات والداك؟».

سقطت سمكة صغيرة من شوكتها، وسألته: «عندما تقابلني في «تيفولي»، هل تنوي إغرائي؟».

- نعم، هذا ما أنويه.

- وماذا لو رفضت وقاومت؟

- عندئذ عليّ أن أحاول تغيير رأيك، أليس كذلك؟

فقالت بكبرياء: «إنها رغبة مبالغ فيها. هذا كل ما بيننا. أقدم غريزة في التاريخ. وعندما تزول الرغبة، تنسى كل شيء عني. والآن، ما فائدة هذا لي؟».

- ما رأيك في أروع وقت تمضينه في حياتك؟

بضحكة مكبوتة ومنفعلة، أدركت أنه سيفاجأ ببراءتها، وهذا سرّ آخر لا تنوي أن تشاركه به. فقالت بغطرسة: «إنك بالغ الثقة بنفسك».

ولم يكن هو من الثقة بنفسه كما يبدو عليه.

قال متوتراً: «بعد أن نتقابل في كوبنهاغن، سيذهب كل منا في طريقه، أليس كذلك؟».

فقالت: «ستفقد اهتمامك ما إن تحصل على مبتغاك، أليس كذلك؟».

كانت، لسوء الحظ، قريبة من الحقيقة.

- من هو الرجل صاحب مصنع المياه يا كيلي؟ وماذا فعل بك؟

وضعت كأسها بسرعة جعلت المياه تنسكب، ورآها ترتجف بشكل خفيف. وقالت: «يمكنك أن تكتشف الأمر بسهولة».

- نعم، يمكنني ذلك، لكنني لن أفعل. لك الحق في أن تحتفظي بأسرارك. كما أنني أفضّل لو تخبريني بنفسك.

- وكأن هذا سيحدث.

- المرارة لا تناسبك.

- لم يظفر كل إنسان بمثل نشأتك الساحرة، يا سليد.

فكر في تلك الغرفة الباردة المظلمة الشبيهة بالقبر ثم قال: «أظنني كنت أسعد حظاً من كثيرين».

ارتجفت: «أظنني أصبت منك وتراً حساساً. آسفة».

تلك الكلمات التي نطق بها كانت عفوية تماماً، وقال: «لِمَ يتملكني شعور بأنك أكثر النساء اللاتي صادفتهن وحدة؟».

فقالت ويدها تتلوى في يده بشكل لامس قلبه: «كفى. وإلا وجدتني أبكي كالطفلة».

- لدي كتفان يمكنك البكاء عليهما متى شئت.

وأدرك أن عرضه البسيط هذا ترك تأثيراً لا يشبه أي كلام آخر قاله من قبل. لم يشأ قط من قبل أن تبكي امرأة على كتفه أو على أي جزء من جسمه.

وتمتمت: «أنت تجعل هذا يبدو سهلاً للغاية».

- كيلي، أتمنى لو تخبريني بما تعانينه.

- لا أستطيع. أنا لا أفعل هذا أبداً.

ومسحت الدموع التي علقت بأهدابها.

على الأقل، لم تنكر أنها تعاني من شيء ما. ولكن ماذا فعل بها صاحب مصنع المياه؟ ولِمَ يهتم هو بذلك؟

www.elromancia.com

قال: «موعدنا في «تيفولي» بعد ثلاثة أسابيع. متى وأين؟».

- أول يوم سبت من شهر كانون الأول عند الخامسة بعد الظهر، عند تمثال «القديس شفيع المدينة». إذا وجدته فتكون قد وجدتني.

- سأفعل ذلك.

وأخذ يفكر في أن دفاعاتها كلها ستكون حينذاك قد عادت إلى مكانها.

قالت: «قد تقابل امرأة أخرى في الوقت نفسه».

- وقد ينهار الكازينو.

- الحق معك. أنا لا أشعر معك بالملل أبداً، أريد قطعة من كاتو الشوكولا.

- بعد السمك؟ ستصابين بكابوس.

فقالت بمرح: «أنا لا أحلم. وأنت؟ ما هو أسوأ كابوس رأيته؟».

لن يخبرها عن الغرفة تحت الأرض، فقال: «أسوأ كابوس هو أن تفقد أمي وصفة كيك سمك السلمون المدخن مع عشبة الراوند والتوابل».

تشعب الحديث من الطهي إلى الفنادق القروية وإلى الفائزين في مهرجان كان للأفلام، ثم أمر سليد بتأمين سيارة أجرة لتقلّها إلى فندقها في «فونتفيل». وعندما اجتاز الفناء لينتظرها، لاحظ لأول مرة وجود قفصين معلقين على الجدار، ومغطيين بقطعة قماش. قال: «وضعهما في أقفاص عمل همجي».

وكانت هي من رأيه، فقالت: «لِمَ لا نطلق سراحهما؟».

فقال ضاحكاً: «فكرة عظيمة».

وسارا إلى القفصين بسرعة. لكن عندما رفعت أول غطاء، وجدت أن الطائر هو ببغاء ذو ريش أزرق قاتم، أما القفص الثاني فيحوي ببغاء ذا لون أخضر. وكان الطائران نائمين ورأسيهما تحت جناحيهما. وقال سليد: «لا نستطيع إطلاق سراحهما يا كيلي، نحن في شهر تشرين أول. سيموتان».

فهمست: «نعم، سيموتان».

وأنزلت الغطاء على القفص، شاعرة بالحزن. وفي محاولة لمواساتها،

وضع ذراعه حول كتفيها. هذا التماس الدافئ الحميم أعادها إلى رشدها فابتعدت عنه وقد غاب أيّ شعور عن وجهها، وقالت: «لا بد أن السيارة تنتظرنا».

فقال: «فلتنتظر، ما بك؟».

- أنا متعبة، وأريد أن أنفرد بنفسي.

- لا يهمني كم تعرفين من رجال، لكنك وحيدة إلى حد بالغ. وحيدة في قفص من صنعك.

- ليس لديك فكرة عن طبيعة حياتي!

- رأيتك بما يكفي لأكوّن عنك رأياً.

شحب وجهها وتلهّفت للابتعاد عنه، فقالت: «إذا تعبت يوماً ما من عملك، فيمكنك أن تعمل في مجال العلاج النفسي».

وتركته مبتعدة عنه بسرعة لتسير بجانب البركة المزخرفة والنباتات المتعرشة على الجدران. وعندما وصلت إلى البوابة الخارجية وقفت بجانب حوض الزنابق البيضاء حيث أدركها سليد. كانت سيارة الأجرة تنتظر، لكنه أمسكها من ذراعها ثم قال بخشونة: «لا يمكنك أن تهربي مني. أنت تعلمين ذلك ولذلك أنا...».

- يمكنني أن أهرب بقدر ما يمكنني من السرعة.

- احرصي فقط على أن تكوني في تيفولي بعد ثلاثة أسابيع.

وفجأة، مدت يديها وأمسكت برأسه وعانقته قبل أن تستدير وتفتح باب السيارة الخلفي وتصعد إليها.

لمع الضحك في عيني سليد وتشبث بمقبض الباب يبقيه مفتوحاً: «لقد تزلزلت الأرض لتوّها... هل شعرت بهذا يا كيلي؟».

لم تجبه بل أعطت السائق اسم فندقها وقالت: «وداعاً يا سليد».

فقال: «خداع النفس هو لعبة خطرة. إلى اللقاء بعد ثلاثة أسابيع».

أخذ يراقب السيارة وهي تبتعد. عند الصباح سيكون الببغاوان في قفصيهما. ولكن ماذا عن كيلي؟ أين ستكون؟

٥ - احلمي بي

كانت كوبنهاغن في أوائل كانون الأول باردة جداً، وقد بلغ ارتفاع الثلج عدة سنتمترات. وكان سليد قد وصل لتوّه من «لاتفيا»، يرتدي معطفاً من جلد الخروف وحذاء مبطناً بالفرو ويسير تحت القوس المتألق بالأنوار عند المدخل الرئيسي «لحدائق تيفولي». وشعر بالإثارة وكأن العمر عاد به إلى سن السابعة صبيحة عيد ميلاد.

كانت كيلي هاجسه في الأسابيع الثلاثة الماضية. وكانت «تيفولي» في الشتاء، أبعد ما تكون عن مجرد شبح لاحتفالات الصيف. ورأى مطعماً فسيحاً فخماً، خُططت واجهته بالألوان الذهبية والخضراء والحمراء. أينما حوّل نظراته رأى الإسراف في الأنوار، بينما الموسيقى المرحة تتخلل البرد القارس. كانت البحيرة تتألق بالطبقة الثلجية الرقيقة التي تغطيها.

والآن، كل ما عليه أن يفعله هو أن يعثر على القديس نيكولا الطروب، وكيلي.

كان قد أبكر في الحضور ليتسنى له الوقت للعثور على مكان اللقاء لأنه لا يتحدث الدانماركية. خشي أن يتوه لكن أول شخص سأله أجابه بإنكليزية لا عيب فيها... وهكذا، وفي خلال عشر دقائق، كان واقفاً بجانب ممر مسقوف حيث القديس نيكولا بلباسه الأحمر ولحيته البيضاء ونظارته الذهبية الإطار وعدد من الحوريات اللواتي تتدلى من ملابسهن الحمراء والخضراء أجراس ذهبية مجلجلة. رأى مجموعة من الأولاد تحيط بالقديس نيكولا، بينما آباؤهم يراقبونهم عن كثب. ومن خلف المركبة

الحمراء كبيرة الحجم، برزت كيلي وهي تحمل بين ذراعيها رزم ولفائف ناولتها إلى اثنتين من الحوريات، ثم انحنت لتتحدث إلى بنت صغيرة خلف الحشد. وتشبثت بنت صغيرة أخرى بكمها، وسرعان ما تجمّع من حولها الأولاد وهم يضحكون ويثرثرون.

وقف سليد في مكانه جامداً. إنه جانب من كيلي لم يعرفه بعد، ولم يخطر له ببال. بدت في منتهى الارتياح، وكأنها تعشق الأطفال، هذه المرأة التي لا تطيق فكرة الالتزام، ما أضفى مزيداً من الغموض على شخصية كيلي. بعدئذ، نظرت إلى ساعتها، ووقفت. كان ثمة صبي صغير جالس على ركبتي القديس فسارت نحوه ورفعته ثم ناولته إلى أمه. وقال القديس نيكولا ما أضحكها فشدت لحيته مداعبة ثم عادت إلى عملها في حمل الهدايا من العربة. خلف ردائه الأحمر ولحيته البيضاء، يمكن للقديس نيكولا أن يكون أي شخص.

كواحد من عشاقها مثلاً... ونظر سليد إلى ساعته. إنها الخامسة إلا خمس دقائق وقد حان موعد اللقاء. ودخل الممر المقنطر. عندما برزت كيلي من خلف المركبة، حاملة هداياها، حيّاها باللغة الدانمريكة: «(غوداك) يا كيلي. وهذه خمسون بالمئة من معلوماتي باللغة الدانمركية».

ورغم أن كيلي كانت تتوقع حضوره، إلاّ أنّ الارتباك بدا عليها لحظة كعادتها كلما حضر: «(هيج)، يا سليد. إذن، فقد جئت».

- هل كنت تتوقعين غير ذلك؟

- لم أفكر كثيراً في الأمر.

- أنت لا تجيدين الكذب.

ونظر إليها من الأعلى إلى الأسفل متمهلاً. كانت ترتدي معطفاً طويلاً من الكشمير، بينما شعرها يتألق. وكان حذاؤها أسود لامعاً. خلع قفازه ووضع يده على خدها الذي جعله البرد وردي اللون. فقالت من دون أن تبدو عنيدة كما ينبغي: «إياك أن تعانقني أمام الأولاد».

فقال فجأة: «كيف حالك؟».

اتسعت عيناها ببراءة: «أنجزت استعداداتي كلها لعيد الميلاد وبسرعة. وهكذا أنا بأحسن حال».

إنها تتغابى إذن... ظاهرياً، كل شيء سهل ومشرق، ولكن متى كان يدير ظهره للتحدي؟

- تبدين رائعة بجاذبيتك وجمالك. هل أنا أول رجل يقول لك هذا اليوم؟

- في الواقع، نعم.

- لا بد أن القديس نيكولا أعمى. هل تعرفينه منذ زمن طويل؟

خفقت بأهدابها: «منذ ثلاث سنوات».

فسألها من دون تفكير: «هل خرجت معه؟».

فقالت بحدة: «للأولاد والحوريات آذان مرهفة. دعنا نتمشى فترة. أنا أعشق النظر إلى كل هذه الأضواء».

فقال موافقاً: «هيا بنا».

ولكن عندما أصبحا في الخارج، جذبها إلى ظل شجرة ضخمة. كان عناقه يعكس حرمان ثلاثة أسابيع والكثير من الأحلام وبالرغم مما عقدت عليه كيلي النية، إلاّ أنها بادلته عناقه بحرارة.

اكتسحت جسد سليد الحرارة، ودمّره عمق رغباته الجائعة. أراد أن يستمر هذا العناق حتى تنقطع منهما الأنفاس، حتى يُشبعا أحاسيسهما.

كان قلبه يخفق بشدة. وقال: «إذا لم نهرب من هذا المكان الآن، فسينتهي أمرنا إلى ما لا تحمد عقباه».

فقالت وهي ترتجف: «سيتلف معطفي».

قال وقد هدأت ضربات قلبه: «أنت لم تجيبي عن سؤالي».

- لقد نسيته.

- القديس نيكولا... هل هو من عشاقك؟

احمرت وجنتيها وقالت: «أنا لا أسألك أبداً عن ماضيك».

- لقد أريتني قصاصات الصحف، لهذا لا أتوقع منك أن تكوني

ملاكاً. أنت في السادسة والعشرين من عمرك ولك ماض لكنني واثق من أنني لا أريد أن أصادف أحد عشاقك القدماء عند كل خطوة نخطوها.

فقالت بغضب لم تعرفه من قبل: «أنا أسمعك جيداً يا سليد. ارفع صوتك قليلاً فيسمعك كل «تيفولي».

- لا بأس ما دمت أنت تسمعيني.

وأمسك بيدها مبتعداً عن الشجرة، متعمداً تغيير الموضوع: «لقد جئت لتوّي من «لاتفيا». كان عليّ أن أقصدها بعد موسكو... الجوّ هناك من البرودة بحيث يشجع على هجرة إلى جزر الكاريبي».

كان جانب وجهه صارماً كوجه الصقر.

- ماذا كنت تفعل في «لاتفيا»؟

أخذ يصف لها بعض ما قام به في الأسابيع الثلاثة الماضية، فكافأته بالضحك. كانت روحه مرحة ويعرف كيف يسلّي الآخرين. وطافا على بعض المتاجر الصغيرة في السوق، فوقفت فجأة عند طاولة مستطيلة والتقطت دبوساً صغيراً يغطيه دب ذو ضحكة ظريفة، وقالت: «سأشتري هذا لك. ليس لأنك تشبهه».

قال مسروراً للغاية بهذه الهدية البسيطة: «مستحيل».

أخرجت بطاقة اعتماد وهي تتابع: «ستذكرك بعيد الميلاد في «تيفولي».

- هل تظنين حقاً أنني سأنساه؟

فقالت: «ذاكرة الرجال قصيرة».

وشبكت الدبوس بياقة قميصه فاحتكت أصابعها بعنقه. كانت تقف شبه ملاصقة له، وعطرها يعبق في أنفه ساحراً مثيراً.

(ذاكرة الرجال قصيرة)... كم كره عندما شملته من دون تمييز، مع نصف الجنس البشري. وقال ببساطة: «وأنا أيضاً لديّ هدية لك وجدتها في نيويورك».

وأخرج من جيبه علبة صغيرة قدمها لها. فطرفت بعينيها عندما قرأت اسم المحل. فتحت العلبة فوجدت قرطين ذهبيين على صورة طائرين بأجنحة

www.elromancia.com

عريضة مفتوحة. قالت بصوت خالٍ من التعبير: «إنهما حران، هذا هو كل ما في الأمر. لكنني لا أعني أن القرطين لم يكلفاك...».

- أعرف ما تعنين. ولهذا اشتريتهما.

مضت لحظة متصلة بالأحاسيس تساءلت أثناءها كيلي عما إذا كانت ستنفجر باكية. غالبت دموعها، وكست ملامحها بقناع هادئ اعتادت عليه على مرّ السنين، ثم وضعت العلبة في حقيبة يدها السوداء، قائلة: «إنهما جميلان. شكراً».

كانت دفاعاتها قوية للغاية، كما توقع سليد بالضبط. ما الذي يمكن أن يحدث في دفاعاتها تلك فجوة؟ ألم يأتِ إلى هنا لاكتشاف ذلك؟ وقال لها: «دعينا نتمشى قليلاً».

سارا حول البحيرة. رأيا على الشاطئ البعيد مجموعة صغيرة من المراهقين بملابس رثة ونظافة غير كافية فجمدت كيلي مكانها مرتاعة. عليها أن تبتعد عن هذا المكان قبل أن يعرفوها، فقالت بسرعة وهي تشدّه بكمه تشير إلى طريق آخر: «فلنذهب من ذاك الطريق يا سليد. يمكننا أن نرى منه مشهداً أجمل لسكة الحديد الأفعوانية».

فقال بشكل غريزي: «سنعود إلى سكة الحديد الإفعوانية لاحقاً... أريد أن ألقي نظرة على ذلك المبنى الذي أمامنا».

- ولكن...

الفتاة التي تسير في المقدمة، والتي تضع أقراطاً في أذنيها وأنفها وشفتها السفلى، صرخت تنادي كيلي وهي تركض نحوها لتبادرها الكلام باللغة الدانمركية. وأحاط الأولاد الآخرون بكلي وقد بدا عليهم جميعاً السرور لرؤيتها. تساءل عمن يكونون وما علاقتهم بكلي التي لم تحاول أن تعرّفه بهم.

رآها تتصرف بعفوية رغم أنها بدت شديدة الارتباك، وتمنى من كل قلبه لو أنه يتكلم الدانمركية.

وبعد أن ودّعوها بصوت واحد، وألقوا نظرات جانبية عليه، تابع

المراهقون مسيرتهم بينما سألها سليد بلهجة عفوية: «ما هذا كله؟».

سألته وهي تجاهد للحفاظ على هدوء صوتها: «ألم تستطع أن تتابع الموضوع؟ أحقاً أنت لا تتحدث الدانمركية؟».

- إنهما كلمتان فقط. (غوداك) و(تاك).

فاعترفت بجزء من الحقيقة: «إنهم متسولون عند المحطة. أعطيتهم نقوداً ذات مرة وأخذت أتحدث إليهم، وهذا كل ما في الأمر».

فقال بصوت فولاذي: «لا أظن ذلك».

- هل تعني أنني كذابة؟

- ما هي بقية القصة، يا كيلي؟

- لقد أحببتهم، فقمت بترتيبات طويلة الأجل ليسكنوا في دار للطلبة على حسابي. والآن، هل يمكننا أن نغير الموضوع من فضلك؟

وهذا أيضاً نصف الحقيقة.

- هذا لطف منك.

- ليس تماماً، نظراً لما أملكه من أموال.

- سعيك شخصياً هذا هو اللطف بعينه. أي إنسان يمكنه أن يتبرع بنقود.

وخطرت له بيل. بيل مشتركة أيضاً، فهل هذا هو أساس العلاقة بين المرأتين؟

غموض فوق غموض. وقال: «فلنبحث عن مكان نأكل فيه».

فقالت بجفاء: «ثمة مطعم راق في فندقي».

بدا وكأن الإغراء آخر ما في ذهنها، ولم يكن هو يرتدي ملابس رسمية فقال: «رأيت مكاناً قرب قاعة الموسيقى».

وسرعان ما كانا جالسين في كوخ حيث قائمة الطعام باللغتين الإنكليزية والدانمركية. عندما انتهيا من حديثهما مع النادل، قال سليد لها: «لم تجيبي عن سؤالي بعد. لهذا، سأجيب أنا عنه. أراهن على أنّ القديس نيكولا ليس عشيقك».

www.elromancia.com

نظرت إليه بحذر. وكان محقاً طبعاً. سألته: «لماذا تقول هذا؟».

- أتتذكرين قصاصات الصحف؟ كلما ازدادت معرفتي بك، كلما قلّ ميلي إلى تصديق ما رأيته... ماذا أسميه؟ أكثر من عشيق في وقت واحد؟ حياة غرامية بالغة النشاط؟

وسكت مفتوناً كعادته بالذكاء الذي في عينيها والضعف الذي ارتسم على فمها، ثم عاد يقول: «ثمة شيء فيك... ميزة تكاد تكون غير ملموسة...».

- يمكنك أن تصدق ما تريد أن تصدقه.

- ستائر من دخان... هذا هو اختصاصك.

فردت بحدة: «أنت تعرف المثل (لا دخان بدون نار)».

- أنت لم تعرفي النار حتى قابلتني.

- كيف يمكنك أن تقول ذلك؟

- لقد أخفتك أيتها الغبية في أول مرة عانقتك فيها... وذلك على رصيف صيادي السمك. هل نسيت؟ حينذاك، وجدت فيك تلك المرأة المحمومة المشاعر التي هي حقيقتك، والتي هي بعيدة جداً عن تلك المرأة في قصاصات الصحف.

فقالت متهكمة: «كان عليك أن تكتب روايات عاطفية فأنت بارع بكل تأكيد».

- ما من شيء تقولينه يمكن أن يقنعني بأنك سطحية تغيرين الرجال كما تغيرين أحذيتك، فهذا لا يتلاءم مع كيلي التي بدأت أعرفها، المرأة التي أرادت أن تحرر الطائرين، والتي تصادق مجموعات من المراهقين الفقراء ذوي الأسمال البالية، والتي تتحدث إلى الأطفال وكأنهم أناس بالغين.

وتنفس بعمق مضيفاً: «أظن أنّ هذه هي المرأة الحقيقية».

- أنت تعقّد الأمور للغاية.

أحقاً؟ وأجاب: «أنت خليط من كل التناقضات».

ثمة من يحدّثه بالدنماركية. إنه النادل يحمل طبقين كبيرين يتصاعد منهما

البخار. ودس سليد أصابعه في شعره، شاعراً بالإحباط والارتباك. الشيء الوحيد الذي لم يكن يشعر به هو الجوع.

ما أن ابتعد النادل حتى مدت كيلي يدها ووضعتها على يده: «هذا ما كنت أخشاه... هو أن أسبب لك ألماً. وهذا ما جعلني أبذل جهدي لكي أبعدك عني منذ أول تعارفنا».

كانت أصابعها نحيلة وخالية من الخواتم، وأظافرها مصبوغة بلون وردي باهت. بدت أوردتها زرقاء تحت جلدها العاجي. امسك بيدها يرفعها إلى فمه ثم أغمض عينيه، متنشقاً رائحة عطرها، شاعراً بدفئها حميماً مرغوباً. وابتدأ نبضه يتسارع...

هل هو أحمق إذ يتجاهل الأدلة التي قدمتها له؟ أم أنه، وبكل بساطة، يطيع غرائزه؟

عندما رفع بصره، قرأ في عينيّ كيلي الشوق العاجز. كانت الدموع معلقة بأهدابها، والعجز في عينيها الفيروزيتين كما لم يره قط من قبل... إذا كان عناق بسيط قد جعلها بهذا العجز، فماذا سيفعل بها الحب؟

ثمة طريقة واحدة ليعرف.

قال بصلابة: «أنا لست كبقية رجالك... أظهر ساعة تريدين، وأتوارى حين تريدينني أن أفعل. أنا مختلف، وهذا ما قلته أنت بنفسك. فلماذا لا تجربين شيئاً مختلفاً؟ مختلفاً كلياً معي أنا».

مسحت عينيها وهي ترى أن رقته لمست مشاعرها في مكان تحاول أن تبقيه مصاناً لا يُنتهك: «كلما كنت بقربك، أتلهف إليك رغم أنك تخيفني كالموت تقريباً. لكنني لا أريد أن ألتزم يا سليد بأي شخص».

فقال بقوة: «أمضي عيد الميلاد معي ومع أسرتي. حاول أن تعرفيني. غيري رأيك».

تناولت شوكتها وأخذت لقمة: «أنا أمضي كل عيد مع أصدقاء لي في «ترينيداد»، حيث لا يوجد القديس نيكولاس ولا ديك حبش في عشاء

www.elromancia.com

احتفالي ولا أولاد ولا ثلج».

- ومن دون أسرة.

- حتماً من دون أسرة.

وتذكرت كيف رفعت الطفل وكيف ضحك لها.

- ألا تريدين أن تنجبي أطفالاً؟

فأجفلت: «ربما يوماً ما».

- سيكون عليك إذن أن تلتزمي أولاً، أليس كذلك؟

ولأول مرة لا تجد جواباً لبقاً ماهراً.

ابتدأ يتناول طعامه، ملاحظاً أنها هادئة جداً هذه الليلة. هل عرف قط امرأة بمثل عناد كيلي تشاردين وتصميمها على تجنب كل ما يحرك المشاعر؟

كان حاله مع النساء مختلفاً، فهن اللاتي يلاحقنه، حالمات بالزواج منه.

قال: «هذا الطعام يحتوي على الكثير من الثوم. من حسن الحظ أننا، نحن الاثنين، نأكل منه».

- لا تفترض أنك ستعانقني مرة أخرى.

- هذا ليس افتراضاً، بل يقين.

فنظرت إلى صحنها: «سنرى بالنسبة لهذا».

وحوّلت الموضوع إلى سياسة روسيا، وكان هذا موضوعاً يمكن لسليد الخوض فيه ببراعته. بعد انتهائهما من تناول الطعام، استقلا سيارة إلى فندقها فجلست هي بجانبه إنما بعيدة عنه قدر إمكانها.

في حي أنيق تقوم فيه أبنية من طراز القرن الثامن عشر، توقّفت السيارة أمام فندق سمّي على اسم عروس البحر «ليل هافرو» وقالت كيلي تحدثه عنها: «كانت ابنة ملك البحر التي خسرت نفسها لأنها وقعت في غرام إنسان».

تكلّمت بشيء من الحدة ثم تملكها الذعر وهي ترى سليد يخرج محفظته، فقالت: «لست بحاجة لمغادرة السيارة».

- سأراك في الداخل.

لم تشأ كيلي أن يرافقها إلى الفندق لاسيّما أنّ جسدها لا ينفك يخونها. وقالت: «اسم الفندق هو أحد الأسباب التي تجعلني أقيم فيه. كما أنه مريح جداً وصغير الحجم بحيث يشعر النزيل فيه بالمودة والإلفة. أنا أعشق السير في الأنحاء والساحات حول القصور... الحراس يبدون غاية في الرزانة ببذلاتهم الزرقاء وقبعاتهم المصنوعة من الفرو».

ولأن كيلي امرأة، ولأنها متوترة، لجأت إلى الثرثرة. وأشار إليهما الحارس بالدخول إلى الردهة حيث تقوم طاولة قديمة تعلوها باقة من الزنابق.

استدارت لتواجه سليد، وصوتها أعلى من العادة: «تصبح على خير».

فقال بجفاء: «لم نقم بأية ترتيبات للقائنا التالي، ولن نفعل ذلك في مكان عام. في أي طابق تقع غرفتك؟».

شعرت برغبة في الصراخ طالبة النجدة، أو لإظهار غضبها، لكنها عدلت عن ذلك وقالت بعجز: «جناحي في الطابق الأخير».

ارتفع بهما المصعد إلى الطابق الخامس، لينزلهما في ممر مكسو بالسجاد السميك. وضعت بطاقتها في الباب الذي إلى اليسار فانفتح. دخلت ثم خلعت معطفها وألقته على مقعد مستطيل مكسو بالمخمل. تأمل سليد ما حوله بنظرة شاملة فرأى مزيداً من الأناقة. وكان باب غرفة النوم مفتوحاً، فرأى السرير الفسيح محاطاً بستائر مزركشة.

تسارعت خفقات قلبه، وعاد ينظر إلى كيلي. كان ثوبها الأسود مفصلاً بشكل بسيط، لكنه محكم حول وركيها بشكل مثير، ويبرز شكلها برقة. خلعت حذائيها من قدميها مظهرة ساقيها الرشيقيتين في جوربيها الأسودين. وتحت قشرة رقيقة من التحكم في النفس، بدت غاية في الذعر.

انقبض قلبه. كيف يمكنه أن يغويها فيما تبدو له في حالة دفاع عن النفس؟ قال بفتور: «كلي. أنا لا أرغم النساء. أنا لست من هذا النوع. يمكنك أن تأتي إليّ برغبتك أو لا تأتي أبداً، فلا حاجة بك

www.elromancia.com

لإظهار هذا الذعر كله».

قالت بتعاسة: «أنا خائفة من نفسي وحسب. وظننتك تعلم هذا».

وأخذها بين ذراعيه، فتصلب جسدها فيما أخذ النبض في أسفل عنقها يخفق بسرعة وعانقها برقة بالغة. هل سبق له قط أن عانق امرأة بهذه الحاجة المدمرة إلى أن يواسيها؟

أخذ جسدها يسترخي تدريجياً، وانفرجت شفتاها ناعمتين دافئتين. استجمع سليد كل ما استطاعه من تحكم في نفسه وتراجع مدركاً بأنه لم يفعل شيئاً أصعب من هذا من قبل.

قال: «فلورنسا، بعد عشرة أيام. بيتي صغير هناك، لكنه يحتوي على تدفئة مركزية».

فتحت فمها مدهوشة.

- فلورنسا؟ موعدنا التالي؟

- نعم. هل لك أن تؤدي لي خدمة؟ لا تتخذي لك صديقاً أثناء ذلك؟

كادت تضعف. لقد شعرت بين ذراعيه بالأمان، وبالحماية، وتملكتها التعاسة. ومع ذلك، لم تجد، بعدما خبرته في الحياة، ما يشجعها على الثقة بكلا الشعورين. وقالت: «إنك تضعني في قفص يا سليد، مثل الببغاوان».

- إذا كان هذا ما تعتقدينه حقاً، فأنت في ورطة.

فقالت بيأس: «إذا بقينا نرى بعضنا البعض، فستزداد علاقتنا عمقاً».

- هذا صحيح. سأعطيك عنواني في فلورنسا، وسأقابلك في المطار.

تمتمت: «إنك ترهقني».

وسمعت صدى كلمتها هذه يتردد في ذهنها. بدت مهزومة جبانة كما نعتها مرة.

يمكنها أن تواجه سليد كاروثرس، كما قررت في نوبة شجاعة، ويمكنها أن تكون عنيدة مثله. وقالت بثبات: «أنا أعشق فلورنسا. لطالما فعلت».

- هي ونيويورك أفضل مدينتين في العالم بالنسبة إليّ.

- أنا لست مسؤولة إذا ما تألمت يا سليد.

- كلنا مسؤولون عن نتائج أعمالنا.

فقالت بسرعة: «ثمة متحف شمال «جسر فيكيو». سأقابلك هناك. عند الساعة الثالثة بعد الظهر من اليوم السادس عشر من الشهر».

- أتعدينني بألاّ يكون في حياتك شخص آخر حتى ذلك الموعد؟

- إذا كنت تتحدث عن علاقة حميمة فهذا غير وارد في الأيام العشرة القادمة، ولكن لدي مواعيد على الغداء لن ألغيها. لا أريد قيوداً على تحركاتي.

اقترب منها، ناسياً كل نواياه الطيبة، وجذبها إليه وعانقها بشوق بالغ، فتجاوبت معه على الفور وبحرارة جعلت نبضه يتسارع، وتأوهت من أعماقها عندما شدّها إليه.

إذا لم يتوقف الآن، سيضيع.

دفعها بعيداً عنه، ثم قال متظاهراً بالهدوء: «حسناً، تصبحين على خير».

فأجابت متلعثمة، شاعرة بجسدها يحترق: «ولكن... ألن تبقى؟».

- لا.

- لماذا عانقتني إذن؟ بعد أن جئت بي إلى هنا؟

- هل كنت تفضلين أن نتحدّث في الردهة؟

شبكت ذراعيها على صدرها: «كنت أفضّل لو أنك بقيت في سيارة الأجرة».

فقال بغضب يماثل غضبها: «كنت أرجو أن تخبريني أنك لن تتخذي صديقاً آخر أثناء الأيام العشرة التي سنفترق فيها. أنا لا أطلب الكثير منك».

- المسألة ليست مسألة أيام، بل قضية مبدأ.

- أم لعله انعدام المبدأ؟

فقالت بصوت غامض: «إذن فقد انتهت مسألة فلورنسا».

- بل ما زالت قائمة.

- ما معنى هذا؟ أنت تريد معاقبتي؟

- هل سمعت قط عن عناد سكان ولاية «نيو انغلند»؟ إنها طريقة أخرى للقول (عنيد كالجدار الصلب). هذا هو أنا، يا كيلي.

فقالت بنعومة: «القوة التي لا تنحني، تواجه الرفض الصامد، هذا نحن يا سليد».

أمسك بخصلة من شعرها: «أنت على صواب يا طفلتي، إلى اللقاء بعد عشرة أيام في المتحف. نامي جيداً، وإذا حلمت فعليك أن تحلمي بي أنا».

كانت عيناها مليئتين بمزيج من الهياج والإحباط بينما سار هو إلى الباب، متلهفاً للابتعاد عنها. خرج مغلقاً الباب خلفه، ثم هبط السلم بسرعة ليخرج إلى ظلمة الليل، وحده.

كان... كان واثقاً من أن أول رجل أحبّته كيلي تشاردين هجرها... وها هوذا أكثر حماقة.

٦- تمثال يضج بالحياة

سار سليد في شارع «دي بنسي» متوجهاً نحو «آرنو». كانت الشمس مشرقة والسماء زرقاء خالية من الغيوم. فلورنسا في عصر هذا اليوم المشمس من شهر كانون الأول، لا يماثلها مكان في نظره خصوصاً أنه سيرى كيلي بعد دقائق.

عندما سيلقاها سيسألها لما اختارت هذا المتحف غير المشهور من بين كل متاحف المدينة.

لقد تعب من الاستيقاظ في الليالي والإحباط يتملكه بسببها. هذا يكفي. إذا تطوّرت الأمور بينهما فمن المؤكد أنه سيهدم بعض الحواجز التي تقف خلفها، حتى أنها قد تغير رأيها بالنسبة إلى موضوع الإخلاص لحبيب واحد.

عندما دفع سليد باب المتحف الضخم المصنوع من خشب السنديان، تعالى صريره. كانت الردهة منعشة البرودة عالية السقف.

استقبلته موظفة الإستقبال بابتسامة فدفع لها ثمن تذكرة الدخول. وعندما رأت الإسم على بطاقته خفقت بأهدابها بطريقة تذكرها فيما بعد حين انتقل من غرفة إلى غرفة يبحث عن كيلي، مستمتعاً بهذه الجولة في تاريخ فلورنسا.

كان الزائرون يحملون في أيديهم الدليل وطلاب الفنون يتأبطون حاملات الرسوم ويطوفون في المكان، لكنه لم يجد أثراً للمرأة التي ينتظرها. وفي آخر غرفة أخذ يقلّب نظره بين تماثيل عارضي الأزياء وشعر بغصة، لأنها لم تكن موجودة. أتراها استسلمت لمخاوفها وبقيت

www.elromancia.com

بعيدة؟ أم لعلها تأخرت بسبب زحمة السير؟

سيعود إلى الردهة وينتظرها هناك لأنها ستأتي. وعندما استدار ليخرج، وقع نظره على تمثال امرأة تكاد عيناها تتألقان بالحياة. وتعثرت خطواته. تكاد؟ إنهما تتألقان فعلاً بالحياة، فهذا الوجه وجه كيلي نفسها.

كانت قد تحركت قليلاً ما جعله يلحظها. وبجهد بالغ، تابع سيره حتى اختبأ منها خلف جدار سميك وقد تملّكته الرغبة في أن يستغرق في الضحك. لقد حصل على الجواب، فهو يعلم الآن السبب الذي جعلها تختار هذا المتحف. إنه مجدداً حس الفكاهة لديها.

لماذا تنتظره بجانب الباب الخارجي كالسياح الآخرين؟ سيكون ذلك مملاً للغاية وهذا لا ما تطيقه كيلي. أليس حس الفكاهة لديها من أهم أسباب انجذابه إليها؟

يمكن لاثنين أن يلعبا هذه اللعبة. اقترب من أحد الطلاب وقال بالإيطالية: «هل بإمكانك أن تقدم لي خدمة أنت وأصدقاؤك؟ هل لك أن تمضي دقائق عدة في رسم أحد الأزياء في الغرفة التالية؟ المرأة التي ترتدي الثوب الطويل الأخضر. سأكافئكم على ذلك».

أخذ الطلاب يتحدثون بالإيطالية لدقائق، ثم وضع الرجل الملتحي، والذي بدا أنه قائدهم، الأوراق المالية التي منحه إياها سليد في جيبه، قائلاً: «شكراً».

حملوا معداتهم وساروا جميعاً نحو الغرفة التالية. وبعد لحظات تبعهم سليد. كانت كيلي لا تزال على قاعدة التمثال ونظراتها منخفضة برزانة. كان ثوبها ينسدل على جسدها بثنيات جميلة، وخمارها الأبيض المنشّى يغطي شعرها بشكل كامل. قال بصوت مرتفع قليلاً يخاطب أقرب طالب إليه: «كم تتغير الأزياء! ما كانت هذه المرأة لتوصف بالجمال هذه الأيام... ومع ذلك، لعلها كانت في أيامها من الجميلات».

التوى فم كيلي بينما تابع هو يقول: «زوجة بارة مطيعة... رأسها مليء بملاطفات آخر عشاقها، وفمها مليء بأسنان فاسدة».

فقال الرجل الملتحي الذي يرتدي قميصاً قذراً: «وغير مغسول أيضاً...».

فقال سليد: «لا بدّ أنّ في رأسها قمل. سأعود بعد دقائق. يفترض بي أن أقابل امرأة هنا لكنها تأخرت».

وخرج. لكن وبعد عشر دقائق، عاد ووقف لحظة عند العتبة ينظر إلى المشهد الذي أمامه بسرور خفي. كانت الشمس المائلة إلى الغروب تتسلل من خلال إحدى النوافذ العالية، والغبار الناعم يطفو ليصل إلى رؤوس فرسان القرون الوسطى وسيداتها.

وفجأة تملكه الذعر وهو يرى وجه كيلي شاحباً للغاية. وعندما خرج من الظل إلى النور، ترنحت هي وقد غامت عيناها.

اندفع من بين مجموعة الطلبة، ثم قفز إلى حيث تقوم القاعدة. وعندما هوى رأسها إلى الأمام، وترنّح جسمها موشكاً على السقوط، تلقاها بين ذراعيه. إصطدمت جبهتها بكتفه. كانت أشبه بدمية من الخرق فلعن نفسه لأنه جعلها تقف أمام المصورين طويلاً، ثم أجلسها على حافة القاعدة، وهو يضع رأسها بين ركبتيه. ركع بجانبها وقال لها بحنان جديد عليه: «اهدئي... لقد أغمي عليك».

صدرت عنها شهقة ضيق خافتة، وهمست: «سليد؟ هل هذا أنت؟».

- نعم، أنا هنا... لن أبتعد عنك.

- أنا... أخذت الغرفة تتمايل فجأة فلم أستطع أن أوقفها.

فقال بخشونة: «الذنب ذنبي. ما كان لي أن أدعك تقفين طويلاً بهذا الشكل».

واندفعت نحوه وهي تقول: «أريد أن أستلقي».

وضع ذراعاً تحت ركبتيها وأخرى وراء ظهرها ثم حملها بحركة واحدة، وقال: «سأستدعي السيارة على الفور».

- سليد. أنزلني على الأرض.

فقال: «كلا. أشعر بأنني كنت قذراً معك وأريد أن أكفّر عن ذلك».

حملها متجاهلاً نظرات زائري المتحف الفضولية. وفي الردهة طلب من موظفة الإستقبال أن تستدعي له سائق السيارة التي اعتاد أن يستأجرها كلما زار فلورنس: «أخبريه بأن يسرع».

أسرعت في تنفيذ طلبه، ثم سألته: «هل السيدة بخير؟».

- لقد أغمي عليها... الغرف دافئة للغاية. أتعرفينها؟

- إنها من أبرز المتبرعين لنا.

فشهقت كيلي قائلة: «مادلينا... أسكتي».

لكن مادلينا تابعت: «ولهذا سُمح للسيدة بأن ترتدي ثوباً من عندنا».

- سنعيده إليك في الصباح الباكر.

- سيكون هذا لطيفاً منك.

فقالت كيلي بضعف: «سأعتني بالثوب جيداً. أيمكنك أن تحضري لي حقيبتي؟».

أخرجت الموظفة حقيبة من الخزانة خلفها وناولتها لسليد قائلة له: «إنها ملابس السيدة».

وبعد خمس دقائق، كان سليد يضع كيلي في المقعد الخلفي من الليموزين، وهو يقول للسائق: «صباح الخير يا لورنزو، شكراً على إسراعك بالحضور. خذني إلى البيت من فضلك».

حاولت كيلي أن تجلس في مقعدها: «سليد، أريد أن أذهب إلى فندقي».

- لأول مرة لا يمكنك أن تتصرفي حسب رغبتك.

- أرجوك، أنا بحاجة لأن أكون وحدي.

- أريحي نفسك. سنصل إلى بيتي بعد عشر دقائق.

فقالت بما يشبه اليأس: «لا أستطيع أن أقاومك. لا أملك أي طاقة».

فقال باسماً: «لا تحاولي إذن. دعي شخصاً آخر يهتم بك من باب التغيير فقط».

ليت الأمر بهذه البساطة! وعادت تستلقي مغمضة العينين. ليت اندفاعها لإضفاء بعض المرح على لقائهما في المتحف لم يعط عكس

النتيجة المرجوة. حوالي عشرين دقيقة قبل أن تقف السيارة أمام بيت حجري في حي الحرفيين. كان الشارع القديم ضيقاً، وبدت البيوت وكأنها تميل على بعضها البعض. نزل السائق وأخذ المفتاح الذي ناوله إياه سليد وفتح الباب السنديانى العتيق.

ابتسم له سليد شاكراً ثم رفع كيلي بحذر وكأنها قابلة للكسر، ثم دخل إلى البيت. كانت لا تزال شاحبة والهالات السوداء تحت عينيها واضحة.

عندما انغلق الباب خلفهما، عطّل جهاز الإنذار بسرعة، وعاد إليها. كانت الدرجات عريضة ومغطاة بالسجاد، والجدران مطلية باللونين البني والأحمر. وقال بسهولة: «إنني أستعمل الطابقين السفليين لاجتماعات العمل، وأحفظ أمتعتي الشخصية في الطابق الثالث».

كانت غرفة نومه في الطابق العلوي، وشرفته الصغيرة تطل على قمة برج الكنيسة المذهب، وتبدو تلال «توسكانا» من بعيد. كان مشهداً لا يمل منه أبداً. كان السرير عريضاً ملمع الخشب، يعلوه غطاء بلون أحمر حائل يشبه سطوح القرميد في المدينة التي يعشقها. لم ترَ شيئاً متلائماً مع الآخر في الغرفة، ومع ذلك بدت منسجمة تماماً.

وضع كيلي على السرير فقالت وهي تحاول أن تستقيم في جلستها: «ليتك أعدتني إلى الفندق».

فقال وهو يقف بجانب السرير: «دعيني أرعاك ولو مرة يا كيلي. بصراحة، أنت تبدين فظيعة».

فانفجرت بشكل مفاجئ: «لم أسمح لأحد قط بأن يرعاني».

- علينا جميعاً أن نتقبل الجديد في الحياة. أتظنين أني سبق وتدرّبت على العناية بالنساء؟.

سار نحو خزانة كبيرة وأحضر قميصاً مضيفاً: «يمكنك أن ترتدي هذا. أول ما عليك أن تفعليه هو أن تخلعي غطاء الرأس هذا فهو يبدو ضيقاً بما يكفي لكي يصيب أي شخص بالغثيان».

- يمكنني أن أتدبر أمري.

- أنا واثق من ذلك. لكنك لن تفعلي.

وجد ربطة الخمار عند رقبتها ففكها ثم أزاحه ووضعه جانباً، ومد يده إلى أزرار ثوبها من الخلف. وبصوت مخنوق، بعد أن أدركت أنها لا يمكن أن ترجع المحتم أكثر مما فعلت، قالت: «عليّ... عليّ أن أطلب منك أن تذهب إلى الصيدلية من أجلي...».

- لدي صندوق إسعافات أولية. ما الذي تحتاجينه؟ مزيل للصداع؟ مهدئ للآلام؟

تمتمت: «ليس لديك ما أريده، أو إن كان لديك فهذا سيجعلني أكرهك».

كانت تتكلم بالألغاز، فقال: «اسمعي، سأحضر لك ما يدفئ قدميك أثناء بقائك في السرير، ثم أحضر لك ما أنت بحاجة إليه».

فقالت من دون تفكير وهي مطرقة خجلاً: «أنا مبكرة، ولهذا لم أستعد. لو علمت ما سيحدث لما قمت قط بهذه المهزلة السخيفة وارتديت ذلك الثوب... العادة الشهرية فاجأتني في غير موعدها يا سليد».

فسألها مذعوراً: «وهل يغمى عليك كل شهر؟».

- لا. لكنني لا أقف كل شهر على قاعدة محاولة أن أتظاهر بأنني تمثال. كل ما أصاب به عادة، هو تشنّج في العضلات وشعور مخيف يدوم إثنتي عشرة ساعة. هذا كل ما في الأمر.

قال: «إذن تضاعف سروري لوجودك هنا لكي أعتني بك، كما تضاعف أسفي بالنسبة إلى طلاب الفنون. بعد أن تستقري، سأذهب إلى الصيدلية. ثمة واحدة قريبة من هنا، فليس لديّ ما تحتاجينه هنا».

(هذا سيجعلني أكرهك...) هل هذا يعني أنها تشعر بالغيرة من أي امرأة أخرى في حياته؟

نظرت إليه عابسة: «هذا ليس ما خططت له لهذا المساء».

- أنا أميل مع الريح حيث تميل. لطالما كان هذا من مبادئي.

أزاح عنها الأغطية ثم غطاها بملاءة رقيقة يفوح منها عطر اللافندر:

«استلقي وابقي كذلك. أتريدين شراباً ساخناً؟ ربما الزهورات؟».

- أنا... لا. لكن سؤالك هذا لطف منك.

ودست رأسها في الوسادة بشكل مزّق قلبه، ثم تنهدت: «هذا أحسن. ربما بإمكانك أن تحضر لي دواءً يرخي العضلات لعلي أرتاح من التشنج الذي أعانيه».

علّق ثوبها في الخزانة قبل أن يهبط إلى الطابق السفلي حيث أحضر زجاجة دواء وسكب بعض الماء في قدح. وكان قد اشترى بعض الأزهار الصفراء لمائدة الطعام، فتناولها وأخذها أيضاً معه إلى الطابق العلوي.

كانت كيلي على وشك أن تنام، فقالت: «إنها جميلة. إنه اللون المفضّل لدي. كيف عرفت؟».

- لم أعرف، يصادف أنه لوني المفضل أيضاً.

فقالت بابتسامة واهية: «إذن فقد خُلقنا لبعضنا البعض».

فقال باتزان وهو يناولها الحبوب مع كأس الماء: «من يدري؟».

لم يسندها لكي تتمكن من تناولها بل قال بابتسامة جافة: «وهكذا، ها أنت في سريري يا كيلي، رغم أنه ليس بالشكل الذي تصورته».

عادت تغوص بين الوسائد: «لا بد أنني مغرية كدجاجة ملطخة بالوحل».

- أنت مغرية حتى في صندوق الزبالة. هل أنت دافئة بما يكفي؟

فقالت: «وبشكل رائع».

كتب رقم هاتفه الخلوي، ثم قال: «الهاتف بجانب السرير، استدعيني إذا احتجت شيئاً آخر. سأعود بعد ربع ساعة».

- شكراً.

وأغمضت عينيها. كان لا يزال يرتدي سترته فخرج على الفور. وفي الشارع شق طريقه بين أفواج الناس الخارجين من العمل، وأفكاره مشغولة بكيلي. إذا نفذت مشيئتها، فهذا يعني أنها الآن في فندقها، وبالتالي أصبح

www.elromancia.com

بعيداً عنها مليون ميل.

صورتها وهي في سريره، أثارت لديه شعوراً حاداً لا يستطيع أن يسميه. ما الذي يحدث له؟ إنها تبدو ضعيفة للغاية إلى حد أن شعوره الوحيد الآن، هو الرغبة في أن يعتني بها.

إنها خبرة جديدة حقاً.

كانت الصيدلية مزدحمة، فوقف أمام أكوام تثبّط الهمة من الصناديق المنظمة، مدركاً أنها خبرة أخرى جديدة.

وبعد عشرين دقيقة، كان يصعد السلم إلى غرفة نومه. وعندما دخل، كانت كيلي نائمة وقد بدأ وجهها شاحباً مقارنة مع شعرها الأحمر، فيما لا تزال الظلال الزرقاء جلية تحت عينيها.

وضع كيس الأدوية بجانب السرير، وسحب الستائر على النافذتين الضيقتين، ثم نزل إلى المطبخ في الطابق السفلي. لن يتناولا العشاء في الخارج الليلة، لذا سيعدّه بنفسه.

سيحضّر لها «الريبولتا التي تصنع من العجين والزيتون والفطر والبندورة وخضار أخرى.

وبعد أن حضّر المكّونات، شمّر عن ساعديه وابتدأ بتحضير حساء الخضار وهو يستمع إلى الأخبار عبر الراديو.

فيما بعد، عندما راحت روائح الخضار والثوم تفوح من المطبخ تملكه شعور فجائي بأنه مراقب، فاستدار. كانت كيلي تستند إلى حاشية الباب، ووجهها متوهج بشكل رقيق. وقالت: «المئزر يناسبك تماماً».

فابتسم: «أنا طاهٍ فوضوي. كيف حالك؟».

- أحسن. عليّ أن أعود إلى فندقي يا سليد. أنت...

- العشاء على وشك أن يجهز. هل تحبين أن تتناوليه في السرير؟

- لا! أنا...

- دعيني أبحث لك عن ثياب للنوم ثم نجلس لتناول الطعام.

نظرت من حولها ثم سألته بحيرة: «هل تطهو من أجلي؟».

- نعم...

وغرف القليل من الحساء وتقدم منها: «حذار، فهو حار. أتظنين أن الملح كافٍ؟».

تذوّقته وقالت: «مذاقه رائع».

- ليس عليك أن تبدي مثل هذه الدهشة.

- لم أعرف قط من قبل رجلاً يمكنه أن يحضّر «الريبوليتا» وكأنه ولد هنا.

- سبق وأخبرتك أنني مختلف. فلنأكل في المطبخ.

كانت جدران المطبخ مطلية باللون الأزرق، والأعشاب معلقة في السقف على شكل باقات. كانت المائدة والكراسي على الطراز التوسكاني وقد طلاها سليد بمحبة فائقة، حتى أصبحت تلمع. قالت كيلي وهي تتساءل إن كان سليد سيدهشها على الدوام: «إنها بالغة الجمال».

قدم لها كرسياً: «إجلسي، سأحضر لك ما تلبسينه».

فاندفعت تقول: «يبدو هذا المكان بيتاً حقيقياً».

بدت منهكة تعيسة، فقال غير عابئ بإخفاء عطفه: «أين بيتك الأساسي؟».

- ليس لي بيت.

- كلنا بحاجة إلى مكان نسميه بيتاً.

ما كان لها أن تعترف بهذا لرجل حاد الذكاء مثل سليد.

- أنا جائعة يا سليد. أطعمني.

- سأفعل بكل تأكيد. لكننا لم ننهِ حديثنا.

صعد السلم بسرعة، واختار بعض الملابس من الخزانة ثم عاد إلى المطبخ. كان عليها أن تلف حزام السروال أكثر من مرة لتثبته، كما غطى الكمّان أصابعها كلياً.

قال: «لن يختارك آرماني كعارضة أزياء الآن».

شخرت ضاحكة وهي تشدّ الحزام.

قدم لها صحفة حساء وكأس عصير، ثم وضع الشموع على حاملات

فضية من طراز القرن الخامس عشر.

بعدئذ، جلس قبالتها ورفع كأسه: «نخب إمكانية عثورك على بيت حقيقي يا كيلي».

نظرت في أنحاء المطبخ وقالت: «كل هذا يجعل الإنسان مولعاً بالحياة المنزلية».

- هذا يعني البيت.

- أنا لم أتعوّد حياة البيت. هذا كل ما عنيته.

- أعرف ما عنيته.

تناولت لقمة كبيرة من الخبز المحمص المغمّس بالفطر: «هممم... هذا لذيذ. هل تطهو هكذا طوال الوقت؟».

-غالباً. عندما أكون هنا. لقد تعبت من المطاعم، فهل فعلت أنت؟

أغمضت عينيها مستمتعة بالطعام: «لم أفكر قط في هذا الأمر».

- حان الوقت لتفكري.

لكن هذا لم يعجبها، فقالت: «من يغسل لك الصحون؟».

- أنا. لدي أحدث غسالة للصحون لكنني أضعها في غرفة المؤن كيلا يفسد مظهرها الديكور.

- أليس لديك خدم؟

- يسكن الوكيل وزوجته في شقة خلف المنزل. لكن عندما أكون هنا، أحب أن أبقى وحدي في البيت. أنا أمضي الكثير من وقتي مع الناس، لهذا أفضّل أن أبقى وحدي هنا.

- وماذا عن صحبة النساء؟

- ليس هنا.

جمدت شوكتها في منتصف الطريق إلى فمها: «عليك أن تحضر نساءك إلى هنا، فلماذا لا تفعل؟».

- قلت لك إنّ هذا مكان استراحتي. أنت أول امرأة تنام في سريري هنا.

- لا أصدقك.

- من الأفضل أن تصدقيني، لأنها الحقيقة.

وأخيراً أقنعها شيء ما في وجهه، فقالت بضيق: «لماذا أحضرتني إلى هنا، إذن؟».

- لأن البديل الوحيد هو أن أتركك في الفندق. واللعنة عليّ إذ كنت سأفعل ذلك. تناولي حساءك. لا أظنك تريدين إهانة الطاهي، فهو أضخم منك.

فضاقت عيناها: «لذة الحساء تجعلني أفعل كل ما تطلبه مني».

- أشعر بالغرور.

بعدئذ، سألها عن المتاحف الأخرى التي تزورّها في فلورنسا وتشعّب الحديث إلى مواضيع كثيرة حتى قام، أخيراً، بسكب القهوة في كوبيهما.

قالت كيلي: «هذا البيت... لا بد أنه كلّف ثروة».

- كلّف الكثير مع الأثاث والصيانة والضرائب.

- لا أفهم لما جعلته بيتك الأساسي...

- لأنني أحبه، وفيه كل شيء.

هزّت كتفيها بضيق: «أما أنا فنزيلة الفنادق. يوم هنا ويوم هناك. لا روابط ولا صداقات تربطني بمكان واحد».

- أنت الخاسرة برأيي. هذا المكان حقيقي، يا كيلي. حقيقي ودائم ومحبوب.

راحت تحملق فيه وكأنه عدو: «لا أفهم».

- لا تفهمين ماذا؟

بسطت ذراعيها مشيرة إلى الفوضى السائدة في المطبخ، وهي تقول: «لقد وضعتني في السرير، وذهبت إلى الصيدلية من أجلي وطهوت من أجلي. ماذا كسبت يا سليد؟».

- فعلت هذا لأنني أريد أن أفعله.

- ثمة ثمن لهذا.. ونحن الاثنان نعلم هذا.

www.elromancia.com

فثار غضبه: «أتعنين ثمناً جسدياً؟».

- طبعاً.

فانفجر قائلاً: «أي نوع من الرجال تصادقين؟».

- النوع الذي يضعني في سيارة أجرة ويعيدني إلى فندقي وحدي. وهذا ما طلبت منك أن تفعله.

- كم مرة أخبرتك أنني مختلف عن الآخرين؟

- ما هو السبب الحقيقي الذي منعك من إغوائي في كوبنهاغن؟

- أخبرتك السبب. أنا لا أحب الشراكة، نحن الإثنين نستحق علاقة أفضل من هذه. عليك أن تلتزمي طوال مدة علاقتنا، وإلا فما من علاقة.

فقالت فجأة: «ومن منا يقترح متى تنتهي العلاقة؟».

لم يجد جواباً، فقال: «سنناقش هذا لاحقاً».

وكان يدرك أن جوابه غير مقنع.

دفعت كرسيها إلى الخلف: «لقد كرهت هذا الحديث».

- لأنني لا أوافقك الرأي كبقية رجالك؟

- بل لأنك ستلقي بي جانباً عاجلاً أم آجلاً كبقية نسائك. ولهذا سألقي بك أنا أولاً، وفي هذه اللحظة بالذات.

- ستهربين... حتماً... فأنت ماهرة في ذلك.

- نعم. أنا جاهزة، وهذا يُدعى حماية النفس.

ووقفت. يُفترض أن تبدو مضحكة في هذه الثياب المستعارة. لكنها، وبدلاً من ذلك، بدت محاصرة ومتمردة وتعيسة للغاية. ووقف سليد أيضاً، قائلاً بصدق جاف: «إنني أقدّم لك أحسن ما لديّ، يا كيلي. سأكون جيداً معك بقدر ما استطيع وأعرف، وأمنحك كل البهجة التي أستطيعها. لكنني لا أعرض عليك الزواج، ولن أشارك فيك أي رجل آخر».

اكتسحت جسدها شعلة من نار. وفي لحظة جنونية تساءلت إن كان سيغمى عليها مرة أخرى: «أنا صاعدة إلى الطابق العلوي لأغيّر ملابسي، ثم أطلب سيارة أجرة لتقلّني إلى فندقي».

مرّت به وهي تجر الحزام الذي تلفه حول خصرها، وكتفا كنزته تصلان إلى مرفقيها، لكنه بقي جامداً وهو يتنفس بصعوبة. سيمنحها خمس دقائق، ثم يلحق بها.

وبعد أن سكب بقية الحساء في وعاء بلاستيكي، وضع الأواني المتسخة في غسّالة الصحون ثم غادر المطبخ، صاعداً السلم بسرعة فائقة. وقف لحظة أمام غرفة نومه يستجمع قواه، ثم أدرك أنه يستطيع أن يرى كيلي في انعكاس مرآته. كانت تقف بجانب السرير دافنة وجهها في كنزته وقد أغمضت عينيها. ثم، وبحركة مفاجئة، ألقت بالكنزة على السرير وانحنت لتنتعل حذاءها. ودخل سليد الغرفة.

www.elromancia.com

٧ - أيتها الجبانة

قالت بتوتر: «أنا شبه جاهزة لاستدعاء سيارة الأجرة وإياك أن تضع اللوم في كل هذا على الهرمونات».

- ما كنت لألوم سوى العناد. أنت تصلحين كمواطنة حقيقية من ولاية «نيوانغلاند».

وأمسكها بمرفقيها وقال بصدق: «أنت شاحبة كملاءات السرير هذه. ابقي هنا، يا كيلي. نامي هنا وسأنام أنا في غرفة الضيوف».

- كف عن معاملتي وكأنني سأنهار، فهذا يحدث معي كل شهر. أما جوابي فهو كلا.

- إذن، فأنت ما زلت جبانة.

أفلتت منه وسارت إلى منضدة حيث التقطت صورة في إطار من فضة هزته بعنف: «هذان والداك، أليس كذلك؟».

كان قد التقط هذه الصورة لوالديه على شرفة منزلهما في «مين»، حيث بديا غاية في السعادة والارتياح. أجابها: «هذا صحيح».

- إذا كان زواجهما بهذه الروعة، فلماذا بقيت عازباً؟ أنت رجل لائق ومحتشم. لا تظنني لا أرى هذا. أضف إلى هذا كله الكثير من الأموال، وذقنك التي تنضح جاذبية، فترى النساء يتهافتن عليك. ومع ذلك ها أنتذا، تتخذ علاقة بعد أخرى.

- لم أتعرف قط إلى امرأة جعلتني أغيّر طبعي هذا.

- وهكذا تتوقع مني أن أقع في غرام طبعك ذاك؟

- أتعلمين؟ أراهن على أنك لم تعرفي يوماً من جعلك تفقدين تحكمك

بنفسك، أو جعلك متلهفة إليه بشكل لا تستطيعين معه أن تنامي أو تأكلي. قولي إنني مخطئ.

كيف يمكنها ذلك؟ فهو كذب. وأجابت بحدة: «كما لم أعرف يوماً من أخافني».

- لا يمكنك أن تمضي حياتك وأنت خائفة من ظلك.

لقد تكلم بما فيه الكفاية، وأخذها بين ذراعيه في عناق عكس تلهفه وشوقه. ولم تستطع التحكم بنفسها، فبادلته العناق وتساءلت باضطراب صادق إن كان هذا بيتاً؟ البيت الوحيد الذي عرفته في حياتها.

وتمتم يقول: «ابقي معي، يا كيلي. دعيني أحتضنك، ونامي في سريري حيث مكانك».

فهمست: «جعلت عظامي تذوب... أنت محق. ما لا أستطيع مواجهته... هو أن أفقد التحكم بنفسي».

شدّها إليه أكثر شاعراً بنبضها يتسارع، وهو يقول بصوت أجش: «إذا بقيت فستكونين في أمان هذه المرة».

- وماذا عن المرة التالية؟ ماذا سنفعل حينذاك؟

- دعينا نواجه كل يوم بيومه.

كانت عيناها تجيشان كالمحيط في طقس عاصف وهي تقول: «ستبقى راغباً فيّ، و...».

- هذا أكيد. شرط أن تعديني بألاّ نستمر في مطاردة بعضنا البعض في أنحاء أوروبا، وألاّ تعرفي رجلاً آخر. أما بالنسبة إلي، فأقسم لك بألاّ ألقي بك بين ليلة وضحاها، وكأنك من النفايات وكأنك من دون شعور. أتظنين أنني لا أرى كم أنت ضعيفة؟

صرخت وهي ترتجف، وقد أوشكت على البكاء: «أنت تخيفني يا سليد. إذا ارتبطنا، فستقلب حياتي رأساً على عقب، ثم تتركني من دون شيء. لا أستطيع القيام بذلك. علينا ألاّ نرى بعضنا البعض بعد الآن فهذا مؤلم للغاية ويكاد يقطعني إرباً إرباً».

وخلصت نفسها منه، ثم التقطت الهاتف الذي بجانب السرير وطلبت رقماً لتتكلم بإيطالية سريعة قبل أن تعيد السماعة إلى مكانها. قالت: «ستصل سيارة الأجرة خلال خمس دقائق. لدي سائق منتظم أثناء وجودي في فلورنسا».

بعدئذ، حملت ثوبها الطويل وخمارها وخفيها المزركشين بالذهب وحقيبتها السوداء. وبرأس مرفوع، سارت خارجة من الغرفة.

وقف سليد جامداً. كانت الملاءات مجعّدة بعد أن نامت كيلي تحتها. وابتسم له والداه من فوق المنضدة بينما حجبت الستائر السميكة مشهد المدينة التي يحب.

تخلل شعره بأصابعه، وأخذ يهبط السلم فتعثر بالسجادة السميكة. كانت كيلي واقفة عند الباب السنديانى الكبير، مستندة إلى الجدار وعيناها مغمضتان. بدت ضعيفة بشكل مخيف. وقال بصوت خشن: «أتغادرين بهذا الشكل؟ هذا خطأ بالغ».

- بل بقائي هو الخطأ.

- الهرب هو الخطأ. لا أعرف من الذي سبب لك هذا الألم، رغم أنني أتلهف لأن ألكم ذلك النغل. لكن لن تختبئي منه طوال حياتك... لأنه سيكشف الحقيقة.

- أنت لا تفهم!

- اشرحي لي إذن، لأفهم. أخبريني عنه.

هزت رأسها فانسدل شعرها مخفياً وجهها، وتغلب الغضب على الرحمة في نفس سليد. وخطر له أنه يعيش في القرن الخطأ. لو كان من آل مديسي، في القرون الوسطى، لما وقف بهذا الشكل ككتلة من الخشب، تاركاً المرأة التي يرغب فيها تخرج من الباب. وقال بصوت لم يميزه هو نفسه: «لا يهم إلى أين تهربين فبإمكاني أن أعثر عليك على الدوام».

- لو كنت تشعر نحوي بأي شيء، لما فعلت هذا. أنا... ستصل السيارة حالاً.

وكانت عيناها مليئتين بالتوسل. وعندما فتحت الباب، توقفت سيارة بيضاء وأطلقت صوت بوقها.

- وداعاً، يا سليد. انتبه لنفسك.

وصعدت إلى المقعد الخلفي وسرعان ما انطلقت بها العربة.

أغلق سليد الباب، فكتمت جدرانه السميكة معظم ضجيج الشارع. هل شعر بمثل هذه الوحدة قط من قبل؟

تناول سترته عن المشجب وخرج إلى أحد أزقة فلورنسا الصاخبة. كانت العربة قد توارت عن الأنظار.

تجاوز سليد محال الحرفيين والمقاهي والبيوت التي تعود القرن الثاني عشر وبرج «بارغيللو» حيث كان ينفّذ حكم الإعدام بخطوات سريعة، من دون أن يهتم بها. حتى قصر «ديل دومو» الخلاّب فشل، ولأول مرة، في لفت نظره.

اتجه عائداً إلى «آرنو»، في الجهة الغربية من المدينة، قاطعاً شارعاً بعد شارع حتى تجاوز الوقت منتصف الليل. كانت رائحة الكستناء المشوية قد تلاشت كما خفّت حركة السير، وهو ما زال يمشي.

لقد تركها تذهب. المرأة الوحيدة التي حرّكت فيه مشاعر لم يكن يعلم بوجودها.

وفي السابعة والنصف من صباح اليوم التالي، كان سليد يحلم بأن يديه وقدميه مقيدة بالسلاسل، وأنّ حارسين مسلحين يقودانه إلى المشنقة في ساحة الإعدام فيما أخذ الجرس يقرع من مكان ما منذراً بالشؤم والهلاك.

جلس في سريره وقلبه يخفق بعنف وجلده ينضح عرقاً. سمع جرساً يرن. إنه الهاتف. تناول السماعة وقال بصوت أجش: «كاروثرس».

- سليد؟

تنحنح وقال بغباء: «كيلي؟».

- هل أنت بخير؟ صوتك فظيع.

- كنت نائماً، أين أنت؟

www.elromancia.com

- أنا في المطار، و...

فتصاعد غضبه: «طبعاً أنت في المطار. هذا ما تحسنينه أكثر من أي شيء آخر. يوم هنا، ويوم هناك... صدقيني...».

- هل لك أن تخرس وتصغي؟ أريدك أن تقابلني في باريس، يوم الثلاثاء، لتتناول العشاء في مطعم «لامرغريت»، هل تعرفه؟

- الكل يعرفه. إنه أفضل مطعم في باريس. أما الجواب فهو كلا.

- اسمع، أنا أعرف أنني لم أحسن التصرف الليلة الماضية، وأنا آسفة. صدقني، ثمة شخص أريدك أن تتعرف إليه وهو يتناول طعامه عادة في مطعم «لامرغريت» يوم الثلاثاء. سيساعد هذا اللقاء على أن تفهم لما أتصرف بهذا الشكل، ولهذا أقترح عليك ذلك.

فرك سليد عينيه، باذلاً جهده كي يكافح الهلع الذي شعر به في هذا الحلم. وأخيراً قال: «لا بأس، في أيّ وقت؟».

- الثامنة والنصف. سأتولى الحجز بنفسي... شكراً يا سليد.

ساد صمت قصير سمع أثناءه الإعلان عن قيام الرحلة التالية، فقالت بعجلة: «عليّ أن أذهب. إنهم يعلنون عن رحلتي. إلى اللقاء».

انقطع الاتصال، فوضع سليد السماعة ونزل من السرير. سار إلى النافذة وأزاح الستائر وأخذ ينظر إلى سطوح منازل فلورنس فيما ذهنه يعمل بسرعة. وأخيراً، أخذت كيلي زمام المبادرة واتصلت به.

بعد ثلاثة أيام، سيتعرّف إلى الرجل المسؤول عن خوفها من الالتزام. لن يستطيع أن يستخلص منه الحقيقة كلها في مطعم «لامرغريت» الفخم لكنه مستعد تماماً لأن يكرهه حتى النخاع.

لو لم يكن مصعوقاً بسبب قلة النوم وتأثير ذلك الكابوس، لأعرب لكلي عن إعجابه بشجاعتها، وعن سروره بمضمون اتصالها.

وتتابعت أفكاره. إنها تريد أن تكشف له ماضيها، وتريه الجروح التي جعلت الخوف يتملكها حتى الأعماق. وهو لا يمكن أن يضيف إلى آلامها المزيد، لا يمكنه أن يلقي بها بعيداً. سيكون هذا لؤماً... ولكن، إذا

ارتبطا بعلاقة... فكيف يمكنه أن يجنّبها الألم عند الانفصال؟

بالزواج منها؟ لا يمكنه أن يفعل هذا إذا لم يكن يحبها. فليبدأ تدريجياً! ماذا لو سمح لرغباتها بأن تتقدّم على رغباته حالياً؟ فيرى الأمور بأبعاد جديدة بالنسبة إليه؟ وأفزعه هذا للغاية.

أسبغت أشعة الشمس لوناً ذهبياً على المشاهد. يمكنه أن يسمع، من خلال الزجاج، هدير حركة السير التي لا تنقطع. وبسرعة، أخرج من جيبه مفكرة مواعيده للأيام القليلة القادمة. عليه أن يعيد تنظيم بعض الأمور إذا أراد أن يكون في باريس يوم الثلاثاء. سيفعل أكثر بكثير من مجرد تأجيل اجتماع أو اثنين ليفهم لما كانت كيلي تتصرف معه بذلك الشكل؟ «لامرغريت» يوم الثلاثاء... لن يأتي ذلك اليوم بسرعة كافية.

كانت باريس باردة ورطبة، تعجّ بالمتسوّقين السيئي المزاج، والسائقين السيئي الطبع. كان المطر ينهمر على الشوارع الفسيحة مكوناً بركاً صغيرة، محولاً الطرق إلى مرايا سوداء ومبطئاً حركة السير. وكانت شجرة عيد الميلاد تتألق فوق «جسر إيفل» متوجة بنجمة لامعة.

وللحظة، شعر سليد بأنه يشبه تلك النجمة، لأن كيلي أخذت تفتح كتاب حياتها له. لكنه، وفي اللحظة التالية، شعر ببرودة المطر المصحوب بالثلج، إذ لم تعده بشيء سوى التفسير. والتفسير لا يستدعي التغيير بالضرورة. ترى، من هو ذلك الرجل الذي تريده أن يتعرّف إليه؟

ولأنه كان متلهفاً لرؤيتها بكّر في الذهاب إلى مطعم «لامرغريت». كان المطعم محاطاً بفناء شاعري، حيث تتألق أشجاره وشجيراته القصيرة تحت ضوء المصابيح الصغيرة البيضاء. في الداخل، كانت الجدران وردية اللون تزينها لوحات جدارية، فيما تتدلى من السقف ثريات مذهبة، ويزيّن الأرضية السجاد السميك.

كان سليد يعرف جيداً جيرارد، رئيس الندل الذي رافقه إلى المائدة التي حجزتها كيلي. حلّت الساعة الثامنة والنصف، وابتدأ المطعم يمتلئ، ومرت خمس دقائق أخرى، ثم عشرة... أتراها غيرت رأيها؟

ثم، وبعد أن ازداد ارتباكه، رآها تدخل الردهة. أخذ الخادم عند الباب معطفها الطويل بينما ابتسم لها رئيس الندل مرحباً.

عندما وصلت إلى المائدة، وقف سليد بلباقة. كان يرتدي أفضل بذلاته الإيطالية، وهي بذلة قاتمة مخططة مع قميص أزرق وربطة عنق حريرية.

لكن كيلي لم تكن تنظر إليه بل جال نظرها في أنحاء المطعم، متفحصاً الموجودين على كل مائدة. وازداد التوتر على ملامحها. وعندما جذب رئيس الندل الكرسي لها لتجلس، مال سليد إلى الأمام وقبلها على وجنتيها من دون أن يحاول إخفاء سروره برؤيتها.

كان ثوبها بلون خضرة البحر، مطرزاً بخيوط من فضة وكانت فتحة العنق واسعة بينما تدلت من عنقها سلسلة فضية رفيعة. أما شعرها فمرفوع وقد انسدلت منه خصلات لامست خديها.

قال بصوت أجش: «أنت تحبسين أنفاسي إعجاباً».

فاحمر وجهها: «أبدو أفضل من آخر مرة رأيتني فيها».

ورفعت بصرها إليه فقال بعفوية: «أظن أنّ الرجل الذي سنقابله لم يأت بعد؟».

- كلا، لم يأت. يُفترض بي أن أسأل إن كان قد حجز مائدة لليلة، لكن جيرارد مثال للفطنة والحذر وما كان ليخبرني لو سألت. أنا آسفة لأني تأخرت إذ تأخرت الطائرة كما أن حركة السير مخيفة.

كانت تتكلم بسرعة بالغة، وتعبث بقائمة الطعام بضيق فقال سليد بجفاء: «إنه عيد الميلاد. لماذا لا تختارين ما ستأكلينه، ثم نتحدث بعد ذلك؟».

اختارت لحم بط مشوياً، وطبقاً من السلطة بينما اختار سليد سلطة مع لحم خروف. كانت كيلي تتفحص الغرفة مرة أخرى، وتتأمل كل قادم جديد. وكانت عيناها متألقتين للغاية، ووجنتاها متوهجتين بشكل غير عادي.

مهما كان ذلك الرجل، فهو يحتل المقام الأول في أفكار كيلي، على

عكس سليد بكل تأكيد. لم يهتم سليد بهذا على الإطلاق، وأخذ يتحدث عن عقد عمل وقّعه في هامبورغ. وانتقل ضيقها إليه. ماذا لو اكتشف الليلة شيئاً لا يستطيع تقبّله؟ ماذا سيفعل؟

هل سيستمر في رغبته فيها؟ كانت أطباق المقبلات قد رُفعت، فيما ازداد توتر كيلي وقلّ أكلها. فقال سليد: «إذا لم تأكلي عشاءك، فسيشعر جيرارد بالإهانة».

نظرت إليه وكأنها غير واثقة ممن يكون فأضاف بجفاء: «أياً كان هذا الرجل، فأنا أكره تأثيره فيك».

- كرهك لتأثيره لا يبلغ نصف كرهي. آسفة يا سليد. يبدو أنني لا أفعل شيئاً سوى الاعتذار. كم أنا مملّة!

وابتسمت للنادل وهو يضع اللحم المشوي أمامها وقالت: «هذا يبدو لذيذاً».

راحت تحدق في الطبق بما يشبه التقزز لكنها أمسكت بشوكتها، ثم عادت وألقتها من يدها فجأة. اقترب من مائدتهما رجل بني الشعر يتأبط ذراع شقراء ووقفت كيلي بارتباك واضح فانزلقت فوطتها إلى الأرض، وتمتمت بصوت كاد سليد لا يميزه: «بابا؟».

(بابا)؟ وذهل سليد. الرجل الغامض هو أبوها. افتراضه أن والديها متوفيان افتراض خاطئ فكيلي لم تقل له قط إنهما ميتان.

ووقف هو بدوره. لعله ليس موجوداً إذ لم يظهر كيلي وأبوها أيّ اهتمام به. وقال الرجل بصوت كالثلج: «كيلي... حسناً، يا لها من مفاجأة».

فقالت بصوت مرتجف: «أعلم أنك غالباً ما تكون هنا يوم الثلاثاء، ففكرت في أن آتي لرؤيتك».

- هذه ليست مصادفة، إذن؟

فقال سليد بصوت واضح، محاولاً أن يكبت غضبه وهو يرى هذا الشخص يتحدث إلى كيلي بهذا الشكل من انعدام الشعور: «مساء الخير، يا سيد تشاردين. أنا سليد كاروثرس».

فقال الرجل بلهجة تكاد تفتقر إلى التهذيب: «إسمي هو راؤول تشاردين».

ولم يحاول أن يعرّفهما إلى المرأة التي تتأبط ذراعه والتي راحت تتفحص بتمعّن مظهر كيلي. سألت كيلي أباها: «هل بإمكاننا، نحن الأربعة، أن نجتمع بعد العشاء لاحتساء القهوة؟ لقد مضى وقت طويل منذ جلسنا، أنا وأنت لنتحدث».

- لا. لا أستطيع.

وجذب الشقراء من أصابعها التي تلمع فيها الخواتم المتنافرة، وهو يقول: «مائدتنا جاهزة يا عزيزتي هيا بنا».

فقالت الشقراء بصوت رفيع: «أنا سيلفي تورنيير. لم أكن أعرف أن لراؤول ابنة.. لا بد أنك أصغر مما يبدو عليك، يا كيلي».

نظرت كيلي إليها بجمود: «أنا في السادسة والعشرين».

ثم عادت تواجه أباها: «ماذا عن الغد، يا بابا... لن أغادر باريس حتى العصر. هل يمكننا أن نجتمع لشرب القهوة صباحاً؟».

بدا واضحاً أنها تتسوّل... ولم تكن كيلي بحسب خبرة سليد، بالمرأة التي تتسوّل. وأجاب راؤول باقتضاب: «أنا ذاهب إلى القصر في الصباح. الكرم لا يهتم بنفسه. وأنت، من بين كل الناس، عليك أن تعرفي هذا. فمن المؤكد أنك استفدت مما يدرّه من مال لفترة طويلة».

- لم آخذ من أموالك بنساً واحداً منذ سنوات.

- على عكس أمك.

فأجفلت كيلي: «سأتصل بك في المرة التالية التي أزور فيها باريس أو أزورك في القصر».

- ربما... جيرارد ينتظرنا، يا سيلفي.

ألقت سيلفي على سليد نظرة حملت دعوة صريحة، وهي تقول بظرف: «لقد سمعت عنك. أنا مسرورة بالتعرف إليك».

فقال بلهجة رسمية باردة: «تشرفنا يا آنسة تورنيير ويا سيد تشاردين».

ثم دار حول المائدة ليساعد كيلي على الجلوس مريحاً يديه على كتفيها للحظة، ما جعلها تشعر بأصابعه الدافئة على جلدها. وعاد إلى مكانه قائلاً: «كيف يمكن لرجل يجري في عروقه ماء بارد أن ينجب فتاة مثلك مشبوبة العاطفة، مليئة بالحيوية».

غرزت شوكتها بقطعة من اللحم والدموع تلمع في عينيها: «أنا لست مشبوبة العاطفة، مليئة بالحياة... أنا أخاف من ظلي».

- هذا الرجل لديه من المشاعر بقدر ما لدى سمكة ميتة. هل منحك من الحب، ولو مرة، ما تتوقعه كل بنت من أبيها؟

- كلا.

- لكنك ما زلت ترجين ذلك؟

- نعم، يا لحماقتي البالغة! حتى أني اتسوّل منه خمس دقائق من وقته الثمين. إنني أحتقر نفسي حين أطلب منه شيئاً. ولهذا السبب لم أطلب منه أن ينضم إلينا الليلة هنا. كان سيرفض، لذا تركت الأمر للحظ والصدفة.

- هل أمك حية؟

أومأت إيجاباً، فعاد يسألها: «كيف يبدو مظهرها؟».

خفقت بأهدابها: «لا تريد أن تعرف».

- بل أريد.

- تكفيك معرفة راؤول هذه الليلة.

فقال: «إنه يصبغ شعره».

ضحكت: «إنه يصبغ منذ سنوات، وهذا هو سبب مقاطعته لي. سيلفي أصغر مني. كلما كبر في السن، كلما صغر سن خليلاته».

- ستتركه سيلفي عندما تتعرف إلى صاحب رصيد أكبر.

فقالت باسمة: «ستتركه من أجلك».

فارتجف اشمئزازاً: «أفضّل ذوات الشعر الأحمر، هل عشت مع أبيك حتى تركت البيت؟».

- لا، هو من ترك البيت أولاً. وحالما بلغت السادسة عشرة توقف عن

www.elromancia.com

دفع أي نفقات لي.

- إنه لا يحب سوى نفسه يا كيلي.

اغرورقت عيناها بالدموع: «لا أريد أن أصدقك، وأنا أعلم أن هذا غباء بالغ مني».

- لقد حرمك من محبة وعطف الأب وهو ما احتجته أكثر من أي شيء آخر، والنتيجة هي أنك تبحثين عن ذلك باستمرار. هل هذا سبب عدم إيمانك بالالتزام؟

أجفلت. لقد أصبح سلوكها واضحاً. أرادت لهذا الإجتماع مع راؤول أن يتخذ طابعاً عملياً. سليد سيقابل أباها، وستصف هي بعض عشيقات أبيها، فتتضح عدم قدرتها على الالتزام. لكن، وبدلاً من ذلك أعطت خطتها نتيجة معاكسة، فقد أذلت نفسها أمام سليد وهي تتوسل إلى أبيها أن يمنحها اهتمامه وكأنها جرو جائع. كيف أمكنها أن تتصرف بمثل هذا الغباء؟

- لا أستطيع أن أخبرك بعدد عشيقات أبي. لدي صورة من زفاف أمي وأبي... كانا يحدقان في عيني بعضهما البعض بحب كالعبادة. لكن عندما بلغت أنا السابعة، كره أحدهما الآخر. هذا ما يفعله الزواج يا سليد. إنه يغير الناس، يحيل الحب إلى كراهية.

- مازال أبي وأمي يحبان بعضهما البعض حتى العبادة.

- إنهما الاستثناء الذي يثبت القاعدة. لن أطيق أن تتحدث إليّ بالطريقة التي يتحدث فيها أبي.. لهذا السبب لا أجرؤ على المغامرة بعلاقة حميمة، أبداً. أليس هذا ما يتضمنه الالتزام؟ العلاقة الحميمة؟.

لم يحدث هذا معه قط من قبل. ومع ذلك، فإن المشهد الذي رآه لتوّه، والذي بعث الغضب البالغ في نفسه، حميم من دون ريب.

قال وهو يستند إلى الخلف في كرسيه: «حسناً، على الأقل ابتدأت أفهمك».

- خمس دقائق مع أبي كفيلة بذلك.

- وماذا عن خمس ثوان؟

وابتسم لها ابتسامة حميمة وهو يتساءل عما إذا كان عليه أن يطلب النجدة: «حاولي أن تأكلي شيئاً، يا كيلي. ستشعرين بتحسن إذا فعلت».

- عندما تنظر إليّ بهذا الشكل... لا أعرف كيف أتصرف يا سليد!

- ليس مطلوباً منك أن تتصرفي يا كيلي. سنتناول الحلوى بسرعة ثم نهرب من هذا المكان الجهنمي. لا أريد حتى أن أكون في نفس المكان مع أبيك.

فقالت بابتسامة شاحبة: «لأول مرة نتفق على أمر ما».

وبعد دقائق، دفع سليد الحساب ثم ساعد كيلي على الوقوف وهو يقول: «أبوك يصغي إلى كل كلمة تقولها سيلفي. إياك أن تجرؤي على النظر ناحيته. في الواقع، لمَ لا تنظرين إليّ بشغف وكأنه آخر من يشغل بالك؟ سيلفي ستلاحظ هذا حتى لو لم يلاحظ هو، وأنا واثق من أنها ستخبره».

فخفقت بأهدابها: «لكن هذا خداع».

شعر برغبة في الضحك: «حاولي ذلك... الجزء المتعلق بالشغف... قد يعجبك. حاولي أن تشعري بأنك تحبينني إلى حد الجنون يا حبيبتي كيلي، وأنك متلهفة لأن آخذك إلى غرفتك في الفندق».

كانت تحدق إليه مكشرة، فأضاف بصبر: لا تنظري إليّ وكأنك تريدين أن تشنقيني. عانقيني... مرة واحدة تكفي. واحرصي على أن تتصورينا معاً في موقف حميم جداً».

- أنت تتصرف بشكل سيء للغاية.

ثم مدت يديها إلى أعلى وعقدتهما حول عنقه، فأحاط وجهها بكفيه وهمهم: «هممم... لحم بط مشوي».

فانفجرت ضاحكة: «أنت بعيد كل البعد من الشاعرية».

- أنا أريدك.. أرغب فيك. ومن الأفضل أن نخرج بسرعة من هنا قبل أن أتهور أكثر أمام الناس.

فقالت وقد بهتت: «سيصاب جيرارد بنوبة قلبية إذا فعلت ذلك!».

- أتصوّر ذلك.

ووضع ذراعه حول خصرها بشدة وسارا نحو الباب. وهناك أخذ يقفل أزرار معطفها الرائع الطويل متمهلاً وعيناه لا تفارقان وجهها المتوهج، ثم ارتدى معطفه، وتناول مظلته الكبيرة وخرجا إلى الليل.

هل قال حقاً إنه يريدها؟

٨ - أحتاج حريتي

وقفا في المدخل المظلل، وقالت كيلي بهدوء: «شكراً يا سليد لإخراجك لي من هذا المكان من دون أن أتسوّل نظرة جانبية من أبي. ما كنت لأفعل هذا وحدي».

كان هذا اعترافاً خطراً، فأجاب: «بكل سرور. أتريدين أن نسير قليلاً؟».

- نعم.

وتأبطت ذراعه بينما فتح هو المظلة وسارا تحت المطر. ابتعادها عن المطعم ملأها ارتياحاً فقالت: «كان بإمكاني أن أخبرك عن أبي في فلورنسا، لكنني فكرت في أن مقابلتك له شخصياً أفضل تأثيراً».

- لماذا ترك أبوك أمك، يا كيلي؟

يمكنها أن تكشف الصورة الحقيرة كاملة: «حينذاك لم يكن لدي فكرة. وأظن أنّ السبب امرأة أخرى... عندما أخبرتني أمي كان هو يغادر البيت فانتظرت عند الباب وتوسلت إليه أن يبقى. نظر إليّ وكأنني تراب تحت قدميه وسألني عما يجعله يبقى مع طفلة بكاءة ليس لديها حتى الذكاء الكافي لتكون صبياً».

- كان عليّ أن أسمعه بضع كلمات الليلة.

- أشعر دوماً وكأني في الخامسة من عمري عندما أكون في مكان قريب منه، وهذا مذل للغاية. أنا مستعدة للتنازل عن إرثي كله في سبيل أن يقول لي إنه يحبني.

ازداد انهمار المطر على مظلة سليد، وكانت السيارات تمر بجانبهما

www.elromancia.com

مسرعة، مطلقة رذاذاً من الماء فيما كيلي تتابع كلامها عن شخصية والدها الأناني. ولاحظ سليد أنها لم تكد تذكر أمها لكنه أرجأ الحديث في هذا الموضوع إلى ما بعد.

كانا يقتربان من إحدى محطات «المترو» الذي يسير تحت الأرض فقالت كيلي باندفاع: «دعنا نستقل المترو إلى «ساحة الإليزيه» حيث زينة عيد الميلاد رائعة على الدوام. سيبدو ذلك جميلاً تحت المطر».

وشدته من كمه وهي تبتسم له، فغاص قلبه. إنه مستعد لأي شيء تقريباً في سبيل الاحتفاظ بتلك الابتسامة على وجهها، ولكن حين لاح أمامهما السلم الذي ينحدر إلى الأسفل تحت الأرض، قال: «لا أستطيع».

- ماذا تعني. لدي تذاكر. هيا بنا.

بدت، من الإثارة، كتلك الطفلة الصغيرة التي كانتها مرة، فقال بفتور: «أنا لا أستقل «المترو» أبداً، سواء هنا أم في نيويورك أم في لندن. أخاف الأماكن المغلقة».

تلاشت ابتسامتها، وجرّته جانباً وعيناها على وجهه: «الخوف من الأماكن المغلقة؟ لماذا؟».

بعد الشجاعة التي أظهرتها الليلة، استحقت أن تعلم الحقيقة. كل ما يرجوه هو ألاّ تضحك من أعماقها لأنه، وهو الرجل الناضج، يخاف نزول بضع درجات تحت الأرض حيث النفق المظلم لمترو باريس.

- عندما كنت في الحادية عشرة تعرضت للخطف من الشارع الملاصق لمدرستي. خدروني ثم وضعوني في قبو في خزانة مظلمة مدة أسبوعين. ومنذ ذلك الحين، لا أطيق الدخول إلى الأماكن المظلمة تحت الأرض.

فهمست: «وكيف أنقذوك؟».

- بواسطة الشرطة. كنت محظوظاً.

اتسعت عيناها، ثم هتفت برعب: «المقهى؟ إنه تحت الأرض. آه، يا سليد! كم أنا آسفة».

- ربما كان ذلك لمصلحتي. أليس هذا ما تنصح به كتب علم النفس؟ أن يواجه المرة مخاوفه؟

- لا تمزح في أمور غير مضحكة.

وأضافت متلعثمة: «لو كنت أعرف لما اقترحت ذاك المقهى على الإطلاق. لا أصدق أنك بقيت هناك ثلاث ليالٍ. ليتني جئت من الليلة الأولى!.. لكنني كنت مصممة على اختيارك لكي أثبت أنني على حق».

فالتوت ابتسامته: «أنت اختبرتني، لا بأس».

لم تبادله ابتسامته وقد بلغ تأثرها مبلغاً عظيماً: «لكنك بقيت. لم تكن تعرفني ولا بد أنك تساءلت إن كنت سأفي بوعدي وأحضر. ومع ذلك بقيت مدة ثلاث ليال».

- لا تجعليني أبدو كأولئك الفرسان.

-كلا، لكنني بدأت أدرك كم أنت قوي وقوي العزيمة. أشعر... أشعر بالحقارة إذ جعلتك تعاني ذلك كله فقط لأنك ترغب بي.

- لا معنى لكلمة (فقط) هنا.

تجاهلت قوله هذا وقالت ببطء: «شجاعتك... ونزاهتك. لم أشأ أن أراك على حقيقتك كيلا يصعب عليّ التخلص منك. لا أفهم لماذا ترغب بي إلى هذا الحد... ولكن، لا تظنني أسعى وراء المديح، هنا».

فقال بخشونة: «ولا أنا. كل ما أعرفه هو أنك تشغلين بالي ليلاً نهاراً. لا أستطيع أن أنام لأنك لست بجانبي، كما لا أريد حتى أن أنظر إلى امرأة أخرى».

ارتجفت وقالت: «حسناً، هذا كثير».

- ولكن، تبقى تلك الكلمة... (الالتزام).

- ظننتك تدرك الآن لماذا تقودني هذه الكلمة إلى الجنون! أبي يغيّر النساء كما يغير ربطات عنقه. والرجال الذين أعرفهم يبدأون علاقاتهم وينهونها بالبساطة التي يفتحون ويغلقون بها صنبور الماء في المطبخ. ثُمة امرأة جميلة دوماً خلف المنعطف.

وخطرت له فجأة فكرة أزعجته، فقال: «أنت لا تثقين بكلمتي، وبأني سأبقى مخلصاً لك».

فقالت بعنف وقد أدركت أنه اكتشف غطاء آخر لمقاومتها: «ولماذا أثق؟ ما من شيء في حياتي الماضية أو الحاضرة يجعلني أثق بالرجال».

- إذا ما استطعت الصمود ثلاث ليال في ذاك المقهى فيمكنني الالتزام والإخلاص لك طوال بقاء علاقتنا.

فقالت بمرارة: «علاقتنا... حتى أنني أكره كلمة علاقة هذه».

فسمع نفسه يقول: «فلنقل إذن (اكتشاف)، أو (طريق التعارف). قد لا نكون متلائمين».

وصمت لحظة ثم أضاف: «كيلي، أنا أرغب فيك بكل خلية في كياني، كما أعتقد أنك أنت أيضاً ترغبين في. وسنكون أحمقين لو تغاضينا عن ذلك وأهملناه خوفاً مما قد يحصل».

- ستأخذ ما تريد ثم تتركني.

- لن أفعل هذا. لكنني لن أستطيع أن أثبت ذلك الآن، وحده المستقبل يثبت ذلك. ولن نعرف ما لم نحاول.

- عندئذ يكون الأوان قد فات.

كانت كتفاها هابطتين ووجهها شاحباً. هل يمكنه أن يرجو الانتصار، ولو مؤقتاً، على الضرر الذي ألحقه أبوها وأمثاله في نفسيتها؟

- أنت متعبة.

وكان هذا صحيحاً. لطالما كان لأبيها مثل هذا التأثير عليها، وقالت: «أريد أن أعود إلى فندقي».

- ثمة موقف لسيارات الأجرة في آخر الشارع.

عندما جلسا في السيارة، سارعت كيلي لإعطاء السائق عنوان فندقها، ثم مالت إلى الخلف وأغمضت عينيها. كانت أضواء الشارع تتعاقب على جانب وجهها، وشعرها ينسدل على عنقها النحيل. وضع سليد ذراعه حولها. للأسف أنه لا يستطيع أن يجعل راؤول تشاردين يمنحها ما تتوق

إليه رغم رغبته في ذلك. وبعد عشرين دقيقة، توقفت سيارة الأجرة أمام مبنى فخم من طراز القرن الثامن عشر يقع جنوب نهر السين.

قال سليد وهو يضغط على كتفها: «كيلي. لقد وصلنا».

اعتدلت في جلستها وهي تفرك عينيها، وسألته: «هل ستدخل معي؟».

- بكل تأكيد.

ولم يكن لديه فكرة عما تفكر فيه.

قادته من خلال ممر تحف به أشجار سامقة إلى فناء فسيح، وهي تقول بسرعة: «أعشق هذا الفندق فهو يشبه ذلك الذي في كوبنهاغن. صغير وحميم، كما أنّ حدائقه في الصيف فاتنة ومتقنة. من هنا يمكنني أن أتمشى على ضفاف النهر، ثم أجتاز الجسر إلى حدائق نصر التويلري».

تملكها التوتر مرة أخرى، وهي تدخل الردهة الساحرة بأثاثها القديم وجوها الهادئ المريح. من دون أن تلتفت لترى إن كان يتبعها، سارت إلى المصاعد، وخلال دقائق كانا يسيران في الممشى إلى جناحها. أشارت إليه بالدخول ثم شغلت نفسها بتعليق معطفيهما بينما فتح المظلة لتجف. بدت لسليد رقيقة كتمثال زجاجي ما جعل الرغبة في حمايتها تتملكه.

- لماذا أحضرتني معك إلى هنا، يا كيلي؟

ارتعشت ثم قالت جاهدة في أن تكون صادقة معه: «لا أدري. ربما ظننت أن بإمكاني أن أتجاوز العقبات وأن أثق بك بما يكفي».

- أنت مرهقة، لقد كدّرك أبوك...

- هل أبدو بحال مزرية إلى هذا الحد؟

- تبدين وكأنك ستتهشمين ألف قطعة إذا ما نفخت عليك.

خلعت حذاءها من قدميها، ثم سارت إليه من دون رشاقتها المعهودة، ثم أراحت جبينها على صدره وقالت هامسة: «ضمّني إليك».

ضمّها إلى صدره، ووضع خده على شعرها المعطر، ليدرك تدريجياً أنها تبكي. وبللت دموعها قميصه ببطء. كان يعلم بالضبط ما عليه أن يفعل. حملها وسار بها من غرفة الجلوس ذات السجادة الوردية إلى غرفة النوم

www.elromancia.com

حيث السرير العريض بأعمدته الأربعة ثم سألها: «أين قميص نومك؟».

- تحت الوسادة. سليد، أنا...

- سيصبح هذا عادة. سأعتني بك حتى تنامي ثم أخرج. ويا له من اختيار!

- ألن تبقى؟

أتراه يتخيّل نبرة الارتياح في صوتها؟ وأجاب: «كلا».

تناولت منديلاً نفخت فيه أنفها: «مقاومة ابن ولاية «نيوإنغلاند» للإغراءات الباريسية».

ناولها القميص الحريري ووقف مديراً ظهره إليها ريثما تغير ملابسها.

قال: «ما رأيك في أن يضاف الرأي السديد إلى الإعجاب بشجاعتك؟».

- شجاعتي؟ بينما لا أزال خائفة؟

- نعم، شجاعتك.

- أتعني أنك ما زلت راغباً فيّ حتى بعد أن عرفت أبي؟

استدار فرآها جالسة على السرير: «كيلي. أنا أريدك بشكل لا يمكن وصفه. نعم كان أول موعد لنا اختباراً. ولكن، صدقيني، إذا ما خرجت من هنا الليلة فهذا اختبار لا يمكنني احتماله».

فارتجفت: «أتمنى ألاّ تقول مثل هذا الكلام».

ابتسم بأسف: «أقول هذا لأنه الحقيقة وهو أيضاً يدهشني».

- هذا الانجذاب الذي بيننا سيتلاشى مع الوقت.

- هل تعتقدين هذا حقاً؟ هذا غير صحيح أنا أعرف ذلك، وأنت في أعماقك، تعرفينه.

كان بصرها منخفضاً وأخذ يلتهم بنظراته كتفيها، وذراعيها الجميلتين وقدميها الحافيتين. أن يترك كل هذا ويخرج، سيكلفه من القوة أكثر مما يملك.

جلس بجانبها وأحاط وجهها بكفيه ثم عانقها بشوق فكان تجاوبها

فورياً، ومع ذلك رقيقاً بشكل غريب. كان أشبه بمطر الربيع. وامتلأ قلبه بشعور جديد عليه، شعور لا يمكن أن يسميه. وقال برقة: «وتقولين إن هذه المشاعر ستتلاشى؟... هذا غير ممكن...».

صرخت وهي تضع يديها على صدره تبعده عنها: «في كل مرة تعانقني، أتغيّر. طريقة تصرفي، ما أقوله، المشاعر التي تتملكني عندما أكون معك... لا أعرف أبداً ما عليّ أن أفعله في اللحظة التالية...».

فقال بخشونة: «الحياة تريدنا أن نتغير، والتغيير صعب».

فهمست: «أبي لا يتغير أبداً».

- هذا صحيح، ومن المحتمل ألاّ يتغير أبداً. هل هذا ما تريدين أن تكون حياتك عليه؟

- أنت قاس عديم الشفقة. هل هذا ما أوصلك إلى القمة؟

حرك كتفيه بعدم ارتياح. ها هو مرة أخرى ينطق بالحقيقة: «أنا لا أكافح هنا من أجل نفسي فقط بل من أجلك أيضاً. إذا أدرت لي ظهرك، سنخسر نحن الاثنين».

ومسح جبهتها مضيفاً: «أسدي لي خدمة. قابليني في مطار كينيدي في نيويورك بعد رأس السنة مباشرة. سأدعوك لتناول غداء أسطوري لم تأكلي مثله في حياتك، حتى في مطعم «ميشلين» في فرنسا».

- هل يعيش والداك في نيويورك؟

- نعم.

- لأنك تعرفت إلى أبي لا يعني أنني أريد أن أتعرف إليهما.

- اسمعي، لقد اجتمعنا في مونت كارلو، وكوبنهاغن، وفلورنسا وباريس. ثلاث من تلك المدن من اختيارك، والآن جاء دوري.

- أنت تجعل الأمر يبدو منطقياً للغاية.

- وأنا كذلك... منطق.

فقالت بشكل غير مهذب: «وأنا مجنونة، نعم. سأقابلك في مانهاتان».

قال وهو يحاول أن يكتم الارتياح البالغ الذي شعر به: «عندما تحجزين

www.elromancia.com

في الطائرة، أعلميني بموعد رحلتك. لدي اجتماع في الرابع من كانون الأول لا يمكنني تأجيله. لكن حتى ذلك الحين، أنا حر. ارتدي ملابس دافئة، فبعد ترينيداد ستجدين البرد قارساً في نيويورك.

- هل الغداء بملابس رسمية؟

- ما دمت ستأتين لا يهمني ما تلبسين.

ومال عليها يعانقها: «تصبحين على خير، يا كيلي».

فسألته من دون تفكير: «هل أنت خارج حقاً؟».

- وهل غيرت رأيك بالنسبة للالتزام؟

- الالتزام هو عكس الحرية.

فقال متوتراً، وهو شبه واثق من أن نبرتها أقل اقتناعاً بكلمة (الحرية) السحرية هذه: «لقد انتظرتك في المقهى، غيرت جدول مواعيدي، وطرت في أنحاء أوروبا من أجلك. وأنا أبذل جهدي الآن كيلا استغل ضعفك. ماذا تريدين مني أكثر من ذلك؟».

- لا أدري!

- عندما تعرفين ما تريدين، أعلميني.

وأضاف بصوت حازم وهو يقف: «وحتى ذلك الحين، سأستمر في الابتعاد عنك رغم أن ذلك يكاد يقتلني في كل مرة».

- وأنا كذلك.

حركت الرجفة في صوتها مشاعره: «يا إلهي، يا كيلي. آخر ما أريد أن أفعله هو أن أتشاجر معك بعد الليلة التي أمضيتها. نامي في سريرك وارفعي الأغطية حتى ذقنك ونامي».

انزلقت تحت الغطاء الأبيض وقالت: «إلى اللقاء في نيويورك».

- وفي الموعد. عيد ميلاد سعيد. استمتعي بوقتك في ترينيداد.

أطفأ مصباح السرير الجانبي، فمنحتها الظلمة الشجاعة لتقول: «قبل أن أعرفك، كنت أنا دوماً صاحبة المبادرة».

فضحك: «أتعرفين؟ الأمر نفسه ينطبق عليّ».

وصمت لحظة ثم أردف: «تصبحين على خير، يا فاتنتي، كيلي».

- تصبح على خير يا سليد الجذاب.

عندما اعتادت عيناه على الظلام، سار نحو باب الخروج، والإحباط يتملكه. سيذهب إلى فندقه سيراً رغم انه يقع على الجهة الثانية من نهر السين في «منطقة الأوبرا».

لعل هذا سيصرف ذهنه عن تلك الجميلة حمراء الشعر التي تنام وحدها في غرفة في الفندق، حيث تركها... المرأة التي أخذت تغيّر حياته.

* * *

إنه اليوم الثالث من السنة الجديدة. تأخرت الطائرة القادمة من ميامي نصف ساعة، ما تسبب بضغط في المطار. وببطء، راح المسافرون يدخلون من خلال الباب الزجاجي، آثار الشمس على جلودهم تتدرج من اللون النحاسي إلى الوردي المحترق.

ودخلت كيلي من البوابة وهي ترتدي سروالاً فيروزي اللون ومعطفاً طويلاً مناسباً من دون ياقة. لوّح لها سليد بيده ينبهها إلى وجوده، فرآها تبتسم ابتسامة رائعة جعلت قلبه يخفق.

عندما شقت الجموع متوجهة إليه، لاحظ أنها تضع القرطين اللذين اشتراهما لها: طائران ذهبيان صغيران شرعا أجنحتهما. وقفت أمامه، وسألت: «هل هذا لي؟».

كان يحمل زرافة محشوة يبلغ ارتفاعها ستة أقدام وفي عنقها شريطة عريضة حمراء وخضراء معقودة على شكل فراشة.

قال وهو يطوقها بذراعيه مع الزرافة ويعانقها بلهفة بالغة: «عيد ميلاد سعيد».

وعندما خرجت من بين ذراعيه كان الارتباك يبدو جلياً عليها. وسألته: «أما زلت تريدني؟».

- هذا أحد الأمور التي أحبها فيك تمسكك بالأمور الأساسية.

وارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يناولها الزرافة: «خذي.

اسمه جورج. إنه ذكر».

فقالت ضاحكة: «وماذا افعل به؟».

- ضعيه في شقتك. وكلما نظرت إليه تذكريني.

- الأثاث في شقتي يقتصر على الحد الأدنى.

- هذا ما أتصوره. سينير المكان.

- خطوة أخرى في حملتك؟

- حملة؟ أي حملة؟

كانت تحدق في وجه الزرافة: «ليت لي مثل هذه الأهداب».

قال بصوت أجش وهو يعبّ من ملاحها: «أهدابك، ككل ما فيك، كاملة الجمال».

ارتجفت كيلي قليلاً. كيف يمكنها أن تقاومه وهو بهذه الحماسة والمشاعر العنيفة؟ وضعت الزرافة تحت إبطها، وعانقته بلهفة فقال وهو يرتعش: «أظن أنّ هذا يعني أنك ما زلت تريدينني».

- هذا ما أظنه. قليلاً، أحياناً.

- جازفي، وقولي نعم.

- لا بأس. نعم. نعم، أنا أريدك حتى أنني تمنيت لو أنك معي في ترينيداد. كنت ستعشق الشاطئ، يا سليد. إنه في خليج صغير مستور. ورأيت ذات مرة سلحفاة...

أثناء انتظارهما أمتعتها، راحت تتحدث بحيوية بينما سليد ينظر إلى التعابير على وجهها الذي لوحته الشمس. هل من الممكن أن تستسلم يوماً وتفتح له ذراعيها؟ وإذا حدث هذا، فهل سيشبع منها قط؟ في الخارج، كان الهواء قارساً، وضمت كيلي الزرافة إليها وهي ترتجف: «كان علينا أن نتقابل في الباهاماس».

كانت سيارته مركونة في موقف السيارات العمومي، وهي من نوع مرسيدس. قالت وهي تغوص في المقعد الجلدي: «هذا حسن. أين ستتناول الغداء؟».

فقال متهرباً: «في المدينة، أخبريني عن أصدقائك في ترينيداد».

كانت حركة السير ناشطة. لكن عند الساعة الواحدة وصلا إلى شارع «ماديسون» فانعطف إلى شارع جانبي، ثم أوقف السيارة وقال: «لقد وصلنا».

فقالت عاقدة الحاجبين: «لا أرى أي مطعم».

- ستتناول الغداء مع أبويّ. سمك سلمون مدخّن مع الراوند وصلصة حارة، و«كيك».

- هذه خديعة قذرة، يا سليد.

- أريد فقط أن أريك الوجه الآخر للحياة الزوجية والذي يختلف عن زواج والديك، يا كيلي.

فازداد غضبها: «تساءلت إن كنت ستعرّفني إلى والديك أثناء وجودي هنا، لكن لم يخطر لي قط أنك ستأخذني إليهما لتناول الغداء من دون أن تسألني أولاً».

- لم أسألك لأنني كنت أعلم أنك سترفضين.

- يمكنني دوماً أن أرفض.

- لكنك لن تفعلي هذا. اعترفي. فالفضول يدفعك لأن تتعرفي إلى والديّ، لتري إن كانا حقيقيين. هذان الزوجان اللذان ما زالا يحبان بعضهما البعض منذ حوالي أربعين عاماً.

فقالت بجنون: «أريد أن أرى معالم نيويورك، ناطحة السحاب إمباير ستيت... والزوجين المخلصين».

- ستحبينهما. أقسم لك.

- أنت تأخذ الأمور بشكل مسلم به أكثر مما ينبغي.

فقال بصوت أجش: «باستثنائك، يا كيلي. ولن تكوني قط كذلك!». وعض لسانه ساخطاً. لماذا أصر على النطق بمشاعر لم يعرفها من قبل؟ وتنهدت: «هل يمكنني أن آخذ الزرافة معي؟».

- أتريدين أن تحرجيني أمام أبويّ؟

www.elromancia.com

- هذا سيمنحني رضىً بالغاً.

خرجا من السيارة وهي تضم الزرافة إلى صدرها، واتجه بهما المصعد إلى الطابق العلوي... كان سليد صامتاً طوال الطريق، وعندما وصلا تسمّرت في الردهة الفسيحة: «أنت متوتر».

- نعم.

- أنا أتحدث كثيراً عندما تتوتر أعصابي بينما أنت تلتزم الصمت.

- هذا لأنني من «نيو إنغلاند».

- فلنأمل ألاّ يكون والداك متوترين، هما أيضاً. وإلاّ سيكون الغداء هادئاً للغاية. بماذا حدثتهما عني؟

- قلت لهما إني تعرفت إليك في حفلة بيل، وإنهما سيحبانك.

فازداد تقطيبها: «لماذا يتملكني شعور بأنك تتصرّف بشكل غير عادي؟».

فقال ساخراً: «أنت أذكى من اللازم».

- ماذا تعني؟

- أنت أول امرأة أحضرها إلى هنا للغداء أو العشاء أو الفطور. أنا أعرف هذا، وهم، طبعاً، يعرفون».

فقالت برعب: «ربما سيظنان أننا عاشقان نخطط للزواج؟».

- إذن سيكونان مخطئين.

- كلامك صحيح تماماً.

ردّت رأسها إلى الخلف وقد تملكها ألم مفاجئ وهي ترى أن سليد لا يكنّ لها ذرة حب، وهذا لا يعني طبعاً أنها تريده أن يحبها. قال فجأة: «لماذا تضعين القرطين اللذين اشتريتهما لك؟».

-كيلا تنسى أنني بحاجة إلى حريتي.

أجفل في سره. ألم يتملكه الرجاء في أن تكون قد وضعتها لأسباب عاطفية؟ وقال غير قادر على إخفاء التوتر في صوته: «أنت ترين الأمور كما هي، أليس كذلك؟ هل أدق الجرس؟».

فقالت بعذوبة: «افعل. عندما كنت في السادسة، بذلت مدبرة منزلنا جهدها لتعلمني حسن السلوك... أعدك بأن أتصرف بهذا الشكل».

وخطر له أنها عاشت مع مدبرة المنزل وليس مع أبيها أو أمها.

ورن سليد الجرس.

www.elromancia.com

٩ - هل يواجه التحدّي؟

فتح والد سليد الباب: «سليد؟ ولا بد أنك كيلي؟ تفضلا بالدخول».

كان دايفيد كاروثرس طويل القامة تقريباً، ورياضي الجسم. وكان شعره رمادي اللون، وعيناه الزرقاوان مليئتين بالحياة. وقدم لها نفسه وهو يبتسم.

نطقت كيلي بأول ما تبادر إلى ذهنها: «أنت تشبه ابنك بشكل مذهل».

فأجاب ضاحكاً: «مع فارق خمسة وعشرين عاماً... وهو تفصيل تافه... إنها زرافة جميلة».

- اسمه جورج. إنه هدية عيد الميلاد من سليد.

ووضعت الزرافة في زاوية، بينما قال سليد بابتسامة كسول: «يمكن لأي شخص أن يشتري ملابس ومجوهرات. مرحباً، يا أمي».

- سليد، حبيبي.

وتقدّمت بثبات منه تقبله على خده بحب خالص، فيما ملامحها، التي تدل على أصل نبيل، متوهجة سروراً، ثم التفتت إلى كيلي: «مرحباً، يا كيلي. ما أشد سروري بحضورك».

ومسحت يديها بمئزرها قبل أن تصافحها.

ورغم أن هذه التحية تقليدية، إلا أنها تعكس الصدق الذي أحست به كيلي على الفور. وقال دايفيد: «هيا. دعيني أساعدك في خلع معطفك... قال سليد إنك جئت لتوّك من ترنيداد».

ساروا جميعاً إلى غرفة الجلوس الفسيحة المطلة على «الحديقة الرئيسية» بأشجارها العارية. كان ميل بيثان إلى الألوان واضحاً في كل مكان، من

السجادة الفارسية المتدرجة الألوان، إلى الوسائد الحمراء على الكنبات الكحلية.

جلس سليد مديراً ظهره للضوء بحيث يمكنه أن يراقب كيلي. كان يألف هذه الغرفة بقدر ما يألف مكتبه في المدينة حيث يمضي الكثير من وقته، لكن وجود كيلي سبب له ارتباكاً بالغاً. كان لون شعرها الناري يتعارض مع لون الوسائد الأحمر. وكانت بيثان تقول مداعبة زوجها: «بإمكان دايفيد أن يزرع النبات بين الجدران وخارجها، ويقود زورق في المياه الجارفة المنحدرة بينما أهرب أنا لأختبئ. لكنني أعشق البستنة. لقد رأيت حديقة بيل هايوارد، يا كيلي... إنها جميلة أليس كذلك؟ بيل من أصدقائنا القدامى».

ابتسمت كيلي موافقة وتحوّلت إلى الحديث عن بعض الحدائق الشهيرة التي رأتها في أوروبا. وتشعّب الحديث من موضوع إلى آخر، لكن كيلي تجنبّت بمهارة أي سؤال عن حياتها الخاصة.

وعندما وقفوا لينتقلوا إلى غرفة الطعام، سأل سليد بفضول: «اللوحة التي في الزاوية... إنها جديدة، أليس كذلك؟».

- أهداني إياها دايفيد في عيد زواجنا. لقد عشقتها... انظري كيف تنزل الشمس على الماء...

واحتضنت زوجها، فقال دايفيد: «تسعة وثلاثين عاماً. وكل عام أفضل من السابق».

وابتسم لزوجته في عينيها الزرقاوين.

توتر فم كيلي، وبدا الألم فجأة في عينيها كما انخفضت أهدابها. وشعرت بنظرات سليد عليها، فرفعت نظرها إليه مباشرة، لكن الألم كان قد تبدد من عينيها. فقال بسرعة: «خيار جيد، يا أبي. هل أخبرتك أنني أحاول الحصول على تمثال صغير برونزي من صنع «غيبرتي» من أوائل القرن الخامس عشر؟».

فسألته أمه: «المنزلك في فلورنسا؟ هل زرته يا كيلي؟».

توهج وجه كيلي: «نعم... زرته».

فقال سليد: «مرة واحدة».

فتابعت بيثان تقول: «عليك أن تجعليه يطبخ لك، طبخه رائع».

قالت كيلي وهي تفكر في أنه اعتنى بها أيضاً: «لقد حضّر لي حساءً».

فقالت الأم: «لقد علّمت سليد التفريق بين الأعشاب المخصصة للطبخ في عمر مبكر. كنت مصممة على تربية ابني بشكل يجعله لا يعتبر المطبخ من اختصاص المرأة وحدها».

فقال سليد: «لا رجاء في ذلك، يا أمي».

وتناول منها طبقاً يحوي فطائر جبن وأخذ يتحدث عن آخر مشروع له قرب همبورغ، بينما أحضرت الأم سمك السلمون المدخن مع صلصة الراوند الحارة. وقالت كيلي: «أنت مشهور بطعامك. هذا ما أخبرني به سليد. أكلنا في ترينيداد قالباً من سمك القرش».

أخذت تصف بعض أنواع الطعام التي أكلوها في البيت الواقع على الشاطئ في عيد الميلاد. وخطر لسليد أنها رسالة له تعلمه فيها أن لديها أصدقاء كثيرين، وأنها لم تشأ أن تمضي العيد مع ابن ديفيد وبيثان. أعاد ملء كؤوس العصير للجميع، ثم غير الموضوع ليتحدّث عن الإعصار الذي ضرب فلوريدا في شهر أيلول الماضي.

عندما انتهوا من تناول السمك الذي كان لذيذاً حقاً، نهض ديفيد وبيثان لرفع الأطباق وتحضير الحلوى. عندما حملا الأطباق إلى المطبخ، نهضت كيلي بدورها ورفعت صحن الصلصة الحارة وطبق الجبن عن المائدة، وتبعهم سليد ببقية الأطباق. في المطبخ، كانت بيثان تنظف الأطباق تحت الصنبور فيما وقف زوجها بجانبها وذراعه حول خصرها، وشفتاه تحتكان بأذنها.

وقفت كيلي مكانها جامدة بينما تنحنح سليد: «لا بأس! هذا يكفي».

أجفلت الأم قليلاً: «لست بحاجة لمساعدة. كفى يا ديفيد!».

ربت زوجها على ظهرها: «كما تشائين، يا حبيبتي. هل أخفق

القشدة؟».

فقالت بحزم: «هذه فكرة جيدة».

وأخذت الأطباق من سليد مضيفة: «الصلصة الحارة في ذلك الوعاء، والجبن في الثلاجة».

كانت الحلوى عبارة عن فاكهة مع القشدة. أخذ ديفيد يأكل بنهم وهو يغمز ابنه، ويقول: «غداً نعود إلى الحليب الخالي من الدسم».

وراحت كيلي تتحدث عن آخر الحميات المتبعة. وبعد أن ارتشفوا القهوة، أخذت بيثان كيلي في جولة لرؤية المنزل الجانبي المسقوف بالقرميد. وأخذ ديفيد يتحدث عن خطط لإصلاح البيت الأساسي. وأخيراً، حان وقت الرحيل.

ودّعت كيلي والديه وشكرتهما وأعربت عن سرورها بلقائهما، سرور بدا لسليد صادقاً تماماً. وقالت لها بيثان وهي تقبلها على الخدين إنها تتمنى أن تراها قريباً مرة أخرى. وأضاف ديفيد أن رؤيتها مجدداً ستسرّهما للغاية ثم قال لابنه إنه سيتصل به بعد يومين عندما تُحدد كلفة إصلاح السطح.

- هذا عظيم، يا أبي... شكراً يا أمي.

حملت كيلي الزرافة ثم نزلت مع سليد بالمصعد. وعندما وصلا إلى السيارة ألقت بالزرافة في المقعد الخلفي. وأغلق سليد بابه، فقالت له بتهذيب بارد كالثلج: «هل نتشاجر الآن أم في ما بعد؟».

كانت عيناها بزرقة نهر جليدي، فقال سليد مهاجماً: «الآن. والداي إنسانان حقيقيان يا كيلي. لم تكن حياتهما سهلة على الدوام، فأسرتاهما لم تنسجما معاً قط. وكان خطفي مرحلة مخيفة بالنسبة إليهما... لطالما أرادا المزيد من الأطفال لكن أمي تعرّضت للإجهاض أكثر من مرة، كما أني واثق من أنهما واجها كافة المشاكل المعتادة في كل زواج طويل الأمد. لكنهما يحبان بعضهما البعض بشكل عميق، وهذا ما ساعدهما على اجتياز المحن... وهذا يسمى التزاماً».

- وهو الترياق المناسب تماماً لعلة أبي.

- لا بأس. لم تكن نيتي سيئة حين أحضرتك لتناول الغداء مع والديّ، لكنني ما كنت لأخفيهما لمجرد أنهما يحبان بعضهما البعض.

فصرخت: «إنهما لا يستطيعان أن يبعدا أيديهما عن بعضهما البعض. كانا متعانقين، في هذا العمر، في المطبخ».

- إنهما يفعلان ذلك طوال الوقت... فأشيح أنا بنظري... لا أريد أن أعرف شيئاً عن حياة أبويّ الحميمة، أشكرك جداً. ولكن ما علاقة عمرهما بذلك؟ ألا تظنين أن بإمكانك أن تكوني مثلهما؟

- كلا، لا أظن ذلك.

- يمكنني فقط أن أفكر في طريقة تثبت لك أنك مخطئة.

- وما هي هذه الطريقة؟

- أن نعيش معاً مدة تسع وثلاثين سنة، ثم نعود إلى هذا الجدل مرة أخرى.

علقت كلماته في الهواء. ما الذي تملّكه حين قال هذا؟ لم يشأ قط من قبل أن يعيش مع امرأة، سواء لعام واحد أم لتسعة وثلاثين عاماً... وها هوذا الآن يقترح العيش مع كيلي؟ كيلي العنيدة المحبة للجدل؟ كيلي المثيرة، النارية، الرائعة الجمال... وحملقت فيه: «كف عن معاملتي وكأنني مزحة كبيرة».

- هذه ليست نيّتي. كل ما فعلته اليوم هو أنني عرّفتك إلى اثنين أحبا بعضهما البعض في السراء والضراء، لأريك أن هذا ممكن إذا توفر الذكاء والشجاعة، وأن النتيجة هي السعادة.

- حسناً، أنا لم أعرف أحداً مثلهما من قبل. لقد استوعبت ما تعنيه وهو أن بإمكان الناس أن يبقوا متزوجين وسعداء في وقت واحد، أو أن والديك على الأقل تمكنا من ذلك.

وفكرت في مبلغ ألمها حين رأت ذلك الحب العميق الذي لا يتأثر بشيء ويحتمل كل شيء. وتابعت تقول بعنف: «أنا لا أعرف كيف أفعل ما فعلاه. فأنا لم أتعلم هذا قط، ولم يكن أمامي مثال أنحو على مثاله.

لهذا، الزواج هو آخر ما أفكر فيه».

وأخذت نفساً قصيراً حاداً مضيفة: «أنا لا أجرؤ على أن أسألك عن خطوتك التالية».

فقال فجأة: «أن أحملك إلى السرير من دون أن تراقب تلك الزرافة الغبية تصرفاتنا».

فقالت بتوتر: «إذن، سنعيش معاً تسع وثلاثين سنة؟ هذا مضحك للغاية. الخطوة التالية في المشروع هي لي أنا. هل لديك خطة بالنسبة إلى الغد؟».

- لا. سأسافر إلى أوسلو بعد غد.

فتحت حقيبة يدها وأخرجت قلماً ودفتراً صغيراً وهاتفها الخلوي ثم طلبت رقماً. تحدثت بإيطالية سريعة للغاية ثم أصغت إلى الجواب لتسجل بعد ذلك بعض الأرقام على الدفتر. ناولت سليد الدفتر قائلة: «كان هذا وكيل أسفاري. أنا وأنت ستوجّه غداً إلى كتتاكي».

- لكي نقابل أمك؟

- بالضبط، فقد تسمع منها القصة المؤسفة كاملة... و... لا. لن أتحدث عنها. ستتعرف إليها قريباً، على أيّ حال.

قال سليد فجأة: «فلنذهب في نزهة على الأقدام. لقد أكلت كثيراً وتملكتني مشاعر كثيرة في الساعتين الماضيتين».

- لدي موعد في مصرف في المركز التجاري.

- نلتقي بعد ذلك، إذن.

فقالت وقلبها يخفق: «لا أستطيع. سأتناول العشاء مع صديق».

فانقبض قلبه: «صديق أم صديقة؟».

- إنه المسؤول عن استثماراتي وسنداتي التجارية. وأنا أعرفه منذ سنوات.

قال وهو من الغضب بحيث لم يكد يستطيع الكلام: «هل أعني لك شيئاً يا كيلي؟ أم أنني، ككل رجالك الآخرين، مجرد رجل يسهل التخلص

منه؟».

- لست أدري ما تعنيه بالنسبة إلي، هذه هي المشكلة.

كان غريباً منها أن تشعر بالذنب، فلماذا حدث هذا؟ وقالت: «سأستقل سيارة أجرة إلى موعدي».

- افعلي هذا، وابتهجي وأنت تفسرين حملك للزرافة في المصرف.

فردّت عليه بحدة وقد توهج وجهها: «ثرائي يعني أنه ليس عليّ أن أفتر لأحد تصرفاتي».

وبعد لحظات تركته وسارت إلى الشارع لتستقل سيارة أجرة فيما سيقان الزرافة الطويلة تبرز من خلفها. ضرب سليد عجلة القيادة بقبضته. إنها تثير فيه الرغبة في الشجار، ولشد ما يكره ذلك!

غداً سيتعرف إلى أمها.

تقع مزرعة «دارتلي ستادفارم» في ولاية كنتاكي وهي تقليدية المظهر، بحسب ما رأى سليد وهو في سيارته مع كيلي على ذلك الطريق المتعرج المرصوف بين السياج الأبيض وأشجار البلوط والزان التي بدت سوداء تحت السماء الرمادية. رأيا أفراساً وأمهارها مجتمعة حول أكوام من التبن بقرب مخزن غلال وقد بدت معافاة وحسنة التربية...

لم يتحدّث إليها منذ استقبلها في المطار، حتى أنه رفض أن يسألها إن كانت قدّ استمتعت بالعشاء، أو إن كان ذلك الرجل المسؤول عن استثماراتها في الخامسة والثلاثين أم في الخامسة والستين من العمر. سيدعها هي تبدأ الحديث.

لكن كلما ازدادا اقتراباً من المزرعة، كلما أصبحت كيلي تماثله صمتاً وهدوءاً. وعندما أوقف السيارة أمام منزل بالغ الفخامة مغطى بنبات متعرش، خرقت الصمت بقولها: «اتصلت بأمي هذا الصباح، وهي تنتظرنا. إنها معروفة باسم «لوسي دسروشز»، رغم أنها ولدت تحت اسم إيمي بتيون في بيتسبورغ، بنسلفانيا. بيرون وارتلي الذي يملك هذا كله، هو زوجها الثامن».

وخرجت من السيارة. كانت ترتدي سروالاً بالغ الأناقة رمادي اللون مع معطف خفيف من الكشمير وبلوزة حريرية بيضاء، كما تدلّى من أذنيها قرطان ذهبيان على شكل طوقين صغيرين. أما شعرها فمشدود بقوة إلى الخلف رغم أن سليد كان متلهفاً لرؤية خصلات منه على رقبتها.

قرعت كيلي جرس الباب بقوة، ففتحه رئيس خدم كئيب الوجه قادهما إلى غرفة جلوس مزخرفة بشكل مبالغ فيه تفتقر إلى الروح، تركهما هناك فأخذت تسير في الغرفة ذهاباً وإياباً. أمسكت بتحفة تتأملها ثم أعادتها إلى مكانها. تفحصت شعرها في المرآة، ونفضت حاشية معطفها الكشمير، متمنية لو أنها في أي مكان آخر.

- كيلي... يا لها من مفاجأة حلوة!

أول ما لاحظه سليد هو أن لوسي دسروشز امرأة ذات جمال يدير الرؤوس، والملاحظة الثانية هي أن المحافظة على هذا الجمال يتطلب من صاحبته جهداً ملحوظاً. كان شعرها البني المائل إلى الحمرة مصبوغاً بطريقة مكلفة للغاية.

قالت كيلي وهي تقترب من أمها خطوة وتمدّ يديها مترددة: «مرحباً، يا أمي».

وبشكل عفوي، سارت لوسي ووقفت خلف منضدة قديمة، فأنزلت كيلي يديها إلى جانبيها وقد جمدت ملامحها.

هذه هي القصة إذن! ولم يدهشه هذا فقال بهدوء: «كيف الحال يا سيدة دسروشز... أنا، سليد كاروثرس من أصدقاء كيلي».

حوّلت لوسي عينيها الخضراوين إلى سليد فابتسم لها. وقالت تخاطب ابنتها: «كيلي حبيبتي، لقد حصلت على جائزة حقيقية. كيف حالك يا سيد كاروثرس، أم ربما عليّ أن أدعوك سليد، وأرجوك أن تدعوني لوسي. نحن لا نحب الرسميات في هذه الأنحاء».

وضعت يدها في يده تصافحه فشدّ عليها قليلاً ولكن بشكل ذي معنى وقال: «تسرّني معرفتك، يا لوسي. بيتك هنا جميل للغاية».

فقالت متبرمة: «جميل منك أن تقول هذا. طلبت من بيرون أن يعيد تأثيث الطابق السفلي بأكمله، لكنه أصرّ على أن يشتري حصاناً فحلاً بدلاً من ذلك. أربعة ملايين دولار ثمن حصان واحد، فيما ستائر نادي المنطقة أفضل من الستائر التي لدي».

فسألتها ابنتها: «أين بيرون؟».

- في مخزن الغلال. أين تتوقعينه أن يكون؟

فقاطعهما سليد: «تبدو الخيول في حالة حسنة للغاية».

فردّت أمها بنزق: «وكذلك الفتاة المساعدة في الإصطبل. فتاة في أوائل العشرينات».

-أمي...

- لا تقولي أمي... يا كيلي! لطالما كان أبوك يسعى خلف الفتيات. والآن هو مشغول، أما ما لا يعلمه فهو أنني أسجّل تصرفاته وأحيلها إلى المحامي.

فقالت كيلي وقد اعتصر قلبها: «لا. ليس محامٍ آخر. لقد أحببت بيرون بجنون منذ عامين».

امتلأت عينا لوسي بدموع مصطنعة: «ليس ثمة أفظع من أن يدير الرجل ظهره لعهود الزواج، ألا توافقني الرأي يا سليد؟».

فقال: «نعم. هذا صحيح».

- هل تزوجت قط؟

هز رأسه نفياً، فقالت وهي ترتعش: «أتريد أن تتزوج ابنتي؟ كنت طفلة تقريباً عندما ولدتها».

فقال متهرباً من الجواب: «عرفت الآن من أين اكتسبت ابنتك جمالها».

- شكراً. كيلي، لماذا لا تذهبين إلى بيرون؟ أخبرته أننا سنشرب القهوة في غرفة الجلوس، لكنني أظن أن ذهنه مشغول بموضوع آخر، كتلك الكلبة التي في الإصطبل فهو لم يعد يهتم بي.

- بكل تأكيد يا أمي.

واندفعت خارجة من الغرفة وكأن عفاريت الأرض بإثرها فيما تقدّمت لوسي من سليد ووضعت يدها على كمه، وأخذت تنظر إليه بعينيها الخضراوين بإغراء متعمدة الاقتراب منه حتى احتك صدرها بذراعه. وقاوم هو رغبة تدفعه إلى الهرب خلف كيلي، وتراجع.

اشتدت أصابعها حتى شعر بخواتمها تنغرز في لحمه ثم قالت بصوت خافت: «كيلي أصغر منك بكثير يا عزيزي. يبدو عليك أنك من الرجال الذين يحبون النساء الناضجات. المرأة الناضجة المتفهمة...».

فقال بصوت مرتفع: «كيلي هي من أريد، ومن سوء الحظ أنها ترفض ولا تثق بهذه الكلمة».

بدا الحنق على فمها: «الفرق بيني وبين كيلي هو أن كيلي ينقصها الحشمة والتهذيب لكي تتزوج الرجال. فهي تستعملهم حتى تستهلكهم وتلقي بهم جانباً وكأنهم مجرد ثوب اشترته».

ولاحظ سليد حركة خفيفة قرب الباب. كانت كيلي تقف هناك ولا بد أنها سمعت كل كلمة فقال باختصار: «لا أصدق هذا عنها».

-إذن، أنت أحمق رغم وجهك الوسيم.

بعدئذ، هتفت بحدة: «كيلي، حبيبتي، هل بيرون قادم؟».

دخلت كيلي، متمنية لو تستطيع أن تمحو من ذهنها مشهد تلك السمراء الحسناء الممتلئة الجسم بين ذراعي زوج أمها عند سياج مرعى الخيل.

- يقول إنه مشغول.

- لِمَ لا نحتسي القهوة وحدنا؟ لسنا بحاجة إلى بيرون؟

- لقد تعرّفت إليها إذن.

وللحظة، اقتنع سليد بأن الشعور الذي ارتسم على ملامح لوسي الجميلة لم يكن خالياً من الذعر. لكنه غيّر موضوع الحديث. وبعد نصف ساعة، كان يستعد لمغادرة المنزل مع كيلي.

وبسرعة، لمست كيلي خد أمها بشفتيها: «انتبهي إلى نفسك يا أمي».

فقالت لوسي بحدة وقد اختفت ابتسامتها: «لا تخاطبيني وكأنني

www.elromancia.com

عجوز».

والتفتت إلى سليد باسمة: «تشرني معرفتك، يا سليد. لا تنسَ ما قلته لك».

فقال راجياً أن تكون النبرة الحازمة في صوته واضحة لها ولكلي كما هي له: «وداعاً، يا لوسي».

وانغلق الباب الكبير خلفهما. سارا إلى سيارتهما وصعد هو خلف المقود. وعندما تجاوزا أول منعطف، قالت كيلي بمرارة: «حاولت مغازلتك، أليس كذلك؟ مع أنها أمي!».

- نعم، لكن لا بد أنك سمعت ما قلته لها.

- كم أنا خجلى بها! لقد قللت قيمة كل شيء.

- لم تقلل من قيمة أي منا يا كيلي. لا أحد يمكنه أن يفعل ذلك بنا.

- إنها لا تعرف أي معنى للحب أو الالتزام أو الوفاء والإخلاص. أتريد أن أخبرك عن نشأتي مع أمي وسلسلة أزواجها؟

- استمري.

- الرجل الذي أدعوه أبي، إذ من يعلم ما إذا كان هو أبي حقاً، هو الزوج الثاني. لا أتذكر الرقم واحد. قابلته في حفلة راقصة ودام زواجهما ستة أشهر. جاءت ولادتي مصادفة، هذا ما قالته لي حالما أصبحت أفهم معنى الكلام. لم تكن تريدني أبداً لأنني شوّهت قوامها.

أوقف سليد السيارة بجانب الطريق ثم أطفأ المحرك.

- من كان الرجل الثالث وكم دام زواجهما؟

- مصارع ثيران أسباني. دام زواجهما سنة ونصف حتى تبيّن لها وللجميع أنه يحب حلبة المصارعة أكثر مما يحبها. الزوج الرابع كان رجل أعمال نمساوياً حاول أن يخرج مني الطيش بمزيج من التهذيب والإرهاب.

- كفى، بالله عليك يا كيلي.

- لقد كرهته. حينذاك، تزوّجت «بيت» وكان بحاراً ولديه يخت هو

أجمل مركب رأيته. عشنا في بيت من خشب الأرز على شاطئ البحر، فكنت أركض في الغابات وعلى شاطئ البحر. بقيت سنتين سعيدة للغاية... حتى بدأت أمي إجراءات الطلاق... فالحياة في الغابات لا تستهويها... وحينذاك، غرق هو في حادث غريب.

جمد سليد مكانه: «كم كان عمرك؟».

- ثلاثة عشر عاماً. بعدئذ، أرسلوني إلى مدرسة داخلية في سويسرا، بينما صادقت أمي جامع فنون إيطالي. تخرجت من المدرسة في السابعة عشرة. وعندما بلغت الثامنة عشرة، ورثت عن جدي ما يكفيني فاتخذت شقة لي في ميلانو... أما بقية حياتي فهي مجرد أيام. آه، نعم. تزوّجت صاحب مصرف سويسري بعد الإيطالي وقبل بيرون... أتراني أغفلت أحداً؟

- يمكنني أن أتفهم سبب مرارتك، يا كيلي، وأعجب لعدم انحرافك كلياً عن الطريق القويم.

- حاولت مرة في أول صباي، لكن أظنني أحب أن أبقى متحكمة بنفسي.

- لأول مرة، أوافقك على ضرورة أن تتحكمي بنفسك.

وأمسك بيدها برفق، وأخذ يدلكها بلطف: «أمك مليئة بالخوف يا كيلي. إنها تعلم أنها تكبر في السن، وأنها لا تستطيع أن تحافظ على هذا النوع من الحياة التي تعيشها. ومع ذلك، ليس لديها بديل عنها».

- بيرون عديم الأخلاق. أدركت ذلك حين رأيته لأول مرة، لكنه فاحش الثراء.

طرح سليد عليها سؤالاً شغل باله فترة: «لماذا ترك لك جدك المال وليس لأمك؟».

- كان مستبداً وبالغ التزمت دينياً ويكره الطلاق. لكن أمي ورثت ثروة أمها، ولهذا السبب غيّرت اسمها من «بيتون» إلى «دسروشر».

- وهذا سبب استيائها منك أيضاً. قلت لي إنّ أباك هجر البيت عندما

كنت في السابعة.

- أرسلتني أمي للإقامة معه في أول صيف بعد الطلاق، لكي تكون حرة أم هل أقول لتخلو لها الساحة مع مصارع الثيران؟ ثار راؤول غضباً وتركني في رعاية مدبرة منزله الرهيبة التي كانت تهددني بالجراذين والأخطار فهربت ثم رفضت البقاء معه بعد ذلك.

كانت تتحدث وهي ترتجف. ولكن عندما وضع سليد ذراعه حول كتفيها، ابتعدت عنه قائلة: «فلنعد إلى المطار. أكره البقاء على مسافة قريبة من أمي».

بدا له إبعادها عن مزرعة زوج أمها فكرة حسنة، فهذا يمنحها الوقت اللازم لتتمالك نفسها.

وذاب قلبه على الفتاة الصغيرة الحمراء الشعر، التي كانوا يجرجرونها من بلد إلى بلد، ومن زوج أم إلى زوج أم آخر، فتاة لم تعرف سوى العداء وعدم الاكتراث.

لا عجب من خوفها من الالتزام، إذ فهم أخيراً سبب شعورها بالخوف ومدى عمقه. وتابع القيادة في الريف. سوف يمضيان الليلة في شقته في مانهاتان، وسيبذل جهده ليمسح تلك النظرة المذعورة من عينيها. وفكر في تحضير عشاء خفيف.

على أي حال، وقبل أن يصلاً إلى المطار، رن جرس هاتفه الخلوي. فتحه ثم أصغى قليلاً قبل أن يقول بحدة: «يحنث بوعده؟ لماذا؟».

نظرت كيلي إليه وقد تصلب فكه، وتشبثت يده بالهاتف. ارتجفت... بدا واضحاً لها أنها غابت عن ذهنه.

دامت المحادثة دقيقتين أخريين ثم قال سليد: «رتبت أمر طائرة الليشتنغشتين؟ سأغادر حالاً، شكراً، يا بيل».

أعاد الهاتف إلى جيبه وهو يقول: «إنه مساعدي. علي أن أسافر مباشرة إلى «أوسلو». لدينا بعض المشاكل وقد تضيع جهود أربعة أشهر. آسف يا كيلي... لا أستطيع أن أعبّر لك عن مدى أسفي لأني أتركك الآن، وبهذه

السرعة بعد رؤية أمك».

كان الارتياح غالباً على مشاعر كيلي، فهي ستكون وحدها بحيث تستعيد اتزانها، وتقرر ما ستفعله بالنسبة إلى الرجل الجالس بقربها في السيارة، والرجل الذي يعرف عنها أكثر مما يعرف أي رجل في العالم. وقالت: «لا بأس، أتفهّم مدى أهمية عملك بالنسبة إليك».

كان عمله هاماً بالنسبة إليه، فلماذا يشعر بالألم والأسى لاضطراره إلى تركها؟ وسألها: «إلى أين ستذهبين؟».

- أظنني سأعود إلى أوروبا، ربما للتزلج. جبال الألب في هذا الوقت من العام رائعة.

- جبال الألب تمتد على مساحة شاسعة. أيمكنك أن تتحدثي بدقة أكبر؟

- «سان مورتيز»، أو ربما «شامونيكس».

ركن السيارة، وقال: «أطلعي بيل على قرارك. إنه يحتفظ بكافة أرقام الهواتف التي تواجدت عليها».

وعندما لم ترد عليه، أضاف بصبر: «افعلي هذا، يا كيلي. لقد انتهينا من مرحلة القط والفأر».

- لا بأس. سأفعل.

بدت مرهقة جداً... من برودة أمها، وعدم إخلاص بيرون... ومن ديفيد وبيثان بزواجهما السعيد والذي بدا وكأنه يبعد مليون ميل.

- أين تنتظرك طائرتك؟

- ستكون على أرض المطار.

خرج سليد من السيارة وهو يشعر لأول مرة في حياته أنه يكره متطلبات عمله. لم يشأ الرحيل إلى أوسلو بل يريد أن يبقى مع كيلي. وقال لها: «رافقيني بينما أستفهم عما حدث».

وبعد عشر دقائق، كان مستعداً للرحيل فوقف بجانب الباب وأخذها بين ذراعيه وأخذ يدعك كتفيها، فيما عاد قناعها، القناع الذي يكرهه، إلى مكانه تماماً. لكن عليه أن يذهب إلى أوسلو فهو مضطر لذلك. قال بجفاء

بدلاً من الاهتمام والقلق: «انتبهي إلى نفسك. سأتصل بك بعد يومين».

كانت ابتسامتها جافة، تكاد لا تصل إلى عينيها. فقال من دون رقة وقد بلغ غيظه أشده: «منذ سنوات، عندما كنت أصغر من أن تميّزي، وضعك راؤول ولوسي في قفص. لكنك الآن تعرفين أين تجدين المفتاح».

فقالت بجمود: «وأنت هو المفتاح. هل هذا ما تعنيه؟».

فأومأ، وسألها: «هل تعرّف أي من أصدقائك إلى والديك؟».

- كلا، بالطبع.

فقال: «لقد سلمت حقيبتي. أنا مضطر للذهاب رغم كرهي لذلك».

وأحنى رأسه وعانقها بكل المشاعر الفوضوية التي بعثتها فيه مجرد وجودها قربه، وشعوره برفضها، ثم قال بخشونة: «يوم رأيتك في حديقة بيل، شعرت وكأنني أعرفك... رغبة تجرّ رغبة... قوة الطبيعة».

سرت كلماته وعناقه في كيانها وقالت: «أرجو أن تتمكن من تسوية مشاكلك في أوسلو».

لم تكن أوسلو هي التحدي بالنسبة إلى سليد، بل كيلي. فهي مثيرة ومراوغة في الوقت نفسه. ضمها إليه بكل قوته، ثم تركها بالرغم عنه وهو يرتجف واستدار على عقبيه ودخل إلى منطقة الجمارك، لينغلق الباب خلفه.

هل هو رجل بما يكفي ليواجه ذلك التحدي؟

١٠ - سألحق بك

وبعد أربعة أيام، كان سليد يخرج من الحمام الرخامي في جناحه في الفندق في أوسلو، وقد أراحه الماء من بعض ما يشعر به من إنهاك.

لقد عمل ليلاً نهاراً، واستعمل كافة مهارته في المفاوضات، وإرادته القوية... ونجح. سلسلة أخرى من مصانع الورق التي تحترم البيئة، دخلت العالم.

كان يجب النجاح. لكن الوقت حان الآن لتحويل الوجهة والاستعانة بمهارات أخرى لحل مشكلة كانت هي الأصعب، لقد حان الوقت للقاء كيلي والظفر بها.

سيعرف من بيل مكانها، كما أن التزلج في جبال الألب سيناسبه تماماً.

لكن سيناسبه أكثر وجود كيلي معه. فبالرغم من تركيزه في الأيام الأربعة الماضية على عمله، إلا أنها لم تبارح ذهنه على الإطلاق، وأقلقت نومه للغاية. ومن مانهاتن، أبلغه بيل بأن كيلي لم تكن واثقة من أنها ستبقى في «سان مورتيز» أم أنها ستتوجه إلى «شامونيكس» ومنذ ذلك الحين لم تتصل به.

توتر فكه، وأجرى ستة اتصالات هاتفية سريعة تأكد بعدها من أن كيلي أقامت في «شاليه» في «شامونيكس» في الليلتين الماضيتين، ولم تعبأ بأن تعلمه بمكانها، وفاق غضبه كل توقع. إنها تعبث به. سيذهب إلى «شامونيكس». سيجعلها تستسلم لمشاعرها، أنثى محمومة العواطف معطاء... ستجري الأمور بحسب رغبته وهو يعتمد في ذلك على مهارته في الإقناع.

ما دام استطاع أن يفرض إرادته على رجال أعمال، فهو يستطيع أن

www.elromancia.com

يواجه امرأة حمراء الشعر.

وصل سليد إلى مدينة «شامونيكس» الفرنسية بعد منتصف الليل. وفي الصباح الباكر، جلس بجانب «التلفريك» مستمتعاً بأجمل مشهد في أوروبا، بانتظار ظهور كيلي. كان جبل «مون بلان» يلامس السماء الزرقاء الصافية. الثلج، الصخور، أشجار التنوب الداكنة اللون، قمم الجبال. لا خوف هنا من الأماكن المغلقة.

كانت معدات التزلج إلى جانبه والنظارات الشمسية على عينيه. يمكنه أن يسير إلى الشاليه حيث تقيم كيلي، لكنه علم أنها كانت تخرج للتزلج في الصباح الباكر، إما وحدها وإما مع دليل. لهذا، قرر أن ينتظرها في الخارج.

سيرافقها، سواءً شاءت أم أبت. ورآها قادمة نحوه في بذلة صفراء محكمة على جسدها وشعرها مشدود إلى الخلف ونظارات قاتمة تغطي عينيها وخطر له أنها لو التفّت بقماش مشمّع لعرفها. وراح قلبه يخفق وكأنه ركض لتوّه نصف ميل.

وخرج رجل في ملابس تزلج زرقاء من المبنى فحياها بمودة وإلفة جعلت جسد سليد يقشعر. وبعد أن تحدثا لدقائق، عاد الرجل إلى الداخل والشمس تنعكس على شعره الأشقر بينما تابعت كيلي سيرها والابتسامة لا تزال على وجهها. اعترض سليد طريقها: «صباح الخير، يا كيلي».

وقفت وكأنها أصيبت برصاصة. وببطء بالغ رفعت النظارات السوداء عن عينيها وقالت: «سليد. قال مساعدك إنك لن تغادر أوسلو قبل الغد».

- أنهيت كل شيء الليلة الماضية.

التقطت أنفاسها ثم سألته: «بنجاح؟ كما أرجو؟».

- بنجاح تام. هل كنت تخططين لإعلامي بمكانك؟

- في أواخر هذا النهار.

وعندما رفع حاجبيه ساخراً، قالت بحدة: «هذا صحيح، وإن كنت لا أعبأ بذلك. لقد عثرت عليّ على أيّ حال».

لماذا تتصرف كامرأة سليطة اللسان بينما رؤيته ملأتها بهجة؟ لماذا لم يحاول أن يعانقها؟ عجبت لذلك وشعرت باليأس، وقال: «أين تتزلجين هذا الصباح؟».

- بعيداً عن هذا المكان وعن الحشود.

- هذا يناسبني تماماً.

فقالت بحدة: «إذن ستتزلج معي؟».

- هذا ما أنويه.

- لا يبدو عليك السرور البالغ لهذا.

- المظاهر خداعة أحياناً.

وأخذ يلامس خدها بإصبعه، متابعاً: «أنت لم تنامي جيداً. لماذا، يا كيلي؟».

فردّت بحدة: «بسبب التراجع الأخير في سوق الأسهم. هل أنت مسرور لرؤيتي، يا سليد؟».

وأبعدت رأسها عنه فقال ضاحكاً من دون بهجة: «لا أعرف أبداً ماهية شعوري عندما أكون بقربك، لكنني واثق من أنه ليس عدم الاهتمام».

- هل يُفترض بهذا أن يكون مديحاً؟

- مهما كان شعورك نحوي يا كيلي، فهو ليس عدم اهتمام أيضاً. هل سنذهب للتزلج أم سنبقى هنا طوال الصباح لتبادل الأحاديث الذكية؟.

- ليست ذكية بل غبية. كما أني أردت حقاً أن أخبر مساعدك بمكاني.

فقال وهو يحيط وجهها براحتيه، شاعراً ببرودة الصباح على وجنتيها: «أنا أصدقك. لعلي من كان في قفص طوال الوقت، مثلك... بعد علاقاتي العديدة، والمسافة التي وضعتها بيني وبين مشاعري. لكن من السهل جداً البقاء في قفص مقفل يا كيلي، حيث الأمان والسيطرة. نحن نعني شيئاً لبعضنا البعض، وأقسم على ذلك. ومهما كان هذا الشيء، فهو هام للغاية».

أخذت تحدق في حذاء تزلجها اللماع، ثم قالت بسرعة: «إنني أفكر فيك

طوال الوقت وأبقى مستيقظة بسببك كل ليلة، والطعام هو آخر ما أفكر فيه. لكن هذا ليس لأنني أحبك بل لأنني خائفة».

- أنت خائفة من نفسك وليس مني.

- ربما نعم، وربما لا. ممّ تخاف أنت؟ من نفسك؟ من كتلة جليد ضخمة تنهار من أعلى الجبل؟

- لديك موهبة في طرح أسئلة وعدم إعطاء الأجوبة. والآن، فلنذهب للتزلج.

فقالت بابتسامة أسف: «لا بأس».

دخلاً إلى «التلفريك» الذي سيحملهما إلى قمة الجبل. كان سليد غافلاً عن تلك المشاهد كلها، فهو لم يتعوّد بعد على فكرة وجود كيلي بجانبه. أتراه معرضاً للوقوع في الحب؟

إنه سؤال آخر من دون جواب.

لم يتبادلا أيّ كلمة أثناء الرحلة، فالتلفريك مزدحم ولم يكن مزاج سليد يسمح بالثرثرة. وعندما وصلا وجهّزا نفسيهما، سألته: «هل تعرف المنطقة؟».

وعندما هزّ رأسه نافياً، قالت: «عليك إذن أن تبقى بجانبي. علينا أن نتجنّب الضياع، أنهار جليدية... صدوع عميقة في الجليد، صخور بارزة».

وضعت النظارات على عينيها، فحذا حذوها، شاعراً بالحماسة لما ينتظره على المنحدرات وتحت السماء الزرقاء الصافية.

اندفعت كيلي إلى الأسفل برشاقة بالغة، ثم تنحّت جانباً، مثيرة رشاشاً من مسحوق الثلج الناعم. كان ثلجاً بكراً لم تطأه قدم. إنه يضع حياته بين يديها، هو يعلم ذلك جيداً، كما أنه واثق من أنها هي أيضاً تعلم. خرج بسرعة لينضم إليها وزلاجاتهما تخلف وراء كل واحد منهما خطين ملتويين متتابعين.

تملكه شعور بهيج بالطيران وانعدام الوزن فوق الثلوج، كما ملأته الثقة

بأنه سيفوز بكلي حتى ولو في آخر لحظة من حياته.

دارا حول تجويف عميق، ثم اندفعا مرة أخرى إلى الأسفل فاسترخت ذراعاها ولانت ركبتاها، فيما قفز هو فوق صخرة بارزة من تحت الثلوج واستقر برفق ما جعله يضحك عالياً ثم قفز مرة أخرى، والريح تلصق سترته بصدره.

كانا وحدهما مع الجبال والسماء.

وخطر له أنه سيحصل عليها. ماذا ستكون نهاية يوم كهذا إذن؟ أليس هذا سبب رغبته في التزلج منذ البداية؟ قفزت مرة أخرى ثم توقفت، فأخذ سليد ينظر إلى أسنانها الناصعة البياض وهي تمنحه ابتسامة عريضة. كل ما فيها جميل، وعلى وحدتهما أن تنتهي. وبعد عشر دقائق عادا إلى التزلج، فانزلقت على المنحدر وتابع هبوطها بلباقة حتى نهايته.

وقف سليد بجانبها ورفع نظاراته وهو يقول ضاحكاً بسرور بالغ: «يا له من منحدر خلاّب».

وكانت هي أيضاً تضحك، وقد احمرت وجنتاها من الريح وتألقت عيناها بفعل السماء والثلج، وقالت: «لا يمكنني أن أمدحك لمهارتك في التزلج لأنني كنت طيلة الوقت أمامك».

- كنت معتوهاً حين قلت لك إنك جبانة.

طوق خصرها بذراعه وجذبها إليه وعانقها بعنف، فالتصقت به، وقد انفرجت شفتاها، فقال بصوت أجش: «فلندقِ عبر الشارع بالضبط».

فقالت وهي تميل إليه بينما ذراعه حول خصرها: «فلنذهب».

وخارج الفندق العصري، علقا معدات التزلج ودخلا إلى الردهة متوجهين إلى السلم مباشرة، صعدا السلم ركضاً، وتمتم: «أنت كل ما أريد، وكل ما كنت أريد... تعالي معي».

- نعم.

رأت كيلي أنّ الوقت حان الآن لفتح القفص. وسليد سيكون هو المفتاح.

راح بتأملها بنهم. هل رأى من قبل امرأة بهذا الجمال؟

فتح لها ذراعيه واندفعت إلى أحضانه بعنف فيما أخذ قلبه يخفق بشدة.

وشهقت هي قائلة: «ما أكثر ما حلمت بهذا...».

- وأنا أيضاً.

وازداد عناقه عمقاً، وازداد تجاوبها معه.

تراجع وهو ينظر إلى العاصفة التي بدأت تتجمع على وجهها.

رأى في عينيها الفيروزيتين خليطاً من الذعر والرغبة فراح يلامس شعرها الحريري برقة. كان الذعر عدوّه فهو يعرفه جيداً. قال: «أنت بالغة الجمال والحرارة والنعومة ومثيرة إلى حد لا يصدّق... رائحة الليلك تفوح منك».

- إنه الصابون.

أغمضت عينيها فيما هو يمسّد على شعرها بخفة وبكل ما لديه من حنان.

حنان... إنه شعور جديد آخر.

- عيناك تذكرانني بالبحر، وشعرك بالجمر.

فتمتمت وقلبها يذوب: «يمكنك أن تنظم شعراً لشكسبير. أنت تقول لي كلاماً رائعاً».

- هذا ليس صعباً. بل سهلاً للغاية، رغم أننا نستطيع أن نترك نظم الشعر إلى وقت آخر.

ابتسمت وأخذت وجهه بين راحتيها تتأمله بشيء من الخجل. من الغريب أنها شعرت بأن هذه هي المرة الأولى التي يجتمعان فيها بشكل حقيقي.

- هل لديك فكرة عن شعوري؟

كان بإمكانه أن يمزح أو أن يبقى هادئاً، لكنه، وبدلاً من ذلك، قال: «ما أسعدني بوجودك معي، يا كيلي. أسعد مما كنت أظن».

شعرت برجفة خفيفة، فأدرك أنها ناتجة عن الخوف وليس السعادة.

وفكر في أنه لن يتيح لها الفرصة لتخاف منه ومن مشاعره. وأخذ يعانقها ببطء جعل قلبها يخفق بعنف.

وابتسم في عينيها، فاتسعت عيناها وهمست: «لِمَ تثير في كل هذه المشاعر؟»

فقال مازحاً: «لأني لا أقاوم، ولأنك محمومة العواطف أكثر مما تصوّرت. وصدقيني يا كيلي أن مخيلتي كانت جامحة بالنسبة إليك».

- أنت تتكلم كثيراً.

واندست به أكثر وقد أظلمت عيناها وانسدل شعرها على كتفيها كشال من حرير.

وفجأة، ترنح سليد وكاد يسقط أرضاً فأسندته قائلة: بلهفة: «سليد، ما بك؟».

- إنه مجرد تعب. لم أذق طعم النوم في الليلتين الماضيتين بسبب المفاوضات. كما استيقظت باكراً هذا الصباح لألحق بك.

- حسناً، عليك أن تخلد إلى النوم وتأخذ قسطاً من الراحة. دعني هذه المرة أعتني بك.

- لن تتركيني، أليس كذلك؟

- لا، سأبقى قربك.

وأغمض سليد عينيه على صورة كيلي القلقة، بشعرها المنسدل على كتفيها وعينيها المليئتين بمشاعر لم يستطع تفسيرها، ونام.

كان الضوء لا يزال يملأ المكان، فما الذي يفعله في السرير؟

استقام في جلسته ليجد نفسه وحيداً.

- كيلي... أين أنت؟

لكنه أدرك وبشكل ما أنه وحده في الجناح.

نزل عن السرير، فكان أول ما رآه قصاصة ورق على المنضدة بجانب السرير. كانت مطوية وقد كتب عليها اسمه. التقط الورقة بقلب مقبوض، وقرأ: (سليد. عندما كنت معك فقدت نفسي، حتى لم أعد أعرف من أنا.

عليّ أن أكون وحدي لكي أستطيع أن أفكر في الأمر ملياً. سأتصل بك. أعدك بذلك. لكنني أرجوك ألا تلحق بي). بدا الخط مضطرباً ولم يرّ أيّ توقيع لكنه لم يكن بحاجة إلى توقيع.

لقد رحلت. ولكن متى؟ ووقعت عيناه على الساعة، إنها الخامسة والنصف. وتملكه الذعر، كيف نام حتى هذا الوقت؟ بسهولة، لأنه كان محروماً من النوم منذ أيام.

سار إلى الغرفة الأخرى فلم يجد لها أثراً سوى رائحة الليلك. تمتم بلعنة خافتة وهو يتوجه إلى الحمام حيث اغتسل بسرعة وجمع معدات التزلج الخاصة به، ثم أسرع يهبط السلم.

لم يكن فندقها يبعد كثيراً عن فندقه. ولكن حين وقف أمام الشاليه الخشبي الجميل المحاط بالخضرة والذي تطل شرفاته على الجبال، أدرك بالغريزة أنه خالٍ. قرع الباب ولم يدهش حين لم يتلقّ جواباً.

عندئذ، توجه إلى مكتب الاستعلامات وابتسم للموظفة بعذوبة بالغة، وسألها بالفرنسية: «أبحث عن رجل أشقر يرتدي بذلة زرقاء... إنه صديق كيلي شاردين».

- لوثر هيس. إنه أحسن مرشد لدينا.

- هل هو هنا؟

- لا، لقد ذهبا، هو وكيلي منذ ساعتين تقريباً. توجّها إلى المطار في جنيف.

فقال وقد ملأه الغضب والغيرة: «آسف لأنني تأخرت، أتعرفين إلى أين كانا ذاهبين؟».

- خطط لوثر للذهاب إلى همبورغ، فهو من مدينة «أردلوفين» التي لا تبعد عن همبورغ سوى عشرة أميال فقط.

وخفضت صوتها وهمست: «منذ سنتين كانت علاقة كيلي ولوثر حميمة للغاية، وبالتالي لن يدهشني إذا عرفت أنهما توجها معاً إلى «أردلوفين». ما زال لدى لوثر يومان من إجازته، وهناك سيكونان على انفراد أكثر منهما

هنا في «شامونيكس»».

توتر فك سليد: «سيعودان بعد يومين إذن؟».

- نعم. أنا لا أمانع في مرافقته إلى «أردلوفين». لكن ما هي حظوظي أمام فتاة مثل كيلي تشاردين؟ إنها جميلة وغنية. بعض الناس لديهم حظ.

استطاع سليد أن يبتسم: «شكراً لمساعدتك هذه».

وخرج. وبعد ربع ساعة كان في طريقه إلى جنيف وقد تآكلته الشكوك، شكوك غرستها في نفسه كيلي منذ تعارفهما. أتراها غير قادرة على الإخلاص، كما قالت؟ وهل ذهبت مباشرة من بين ذراعيه إلى أحضان لوثر؟

لا يمكنها ذلك. ،ليس كيلي. لا. بسببه انقلبت حياتها رأساً على عقب، وقد أرغمها على تغيير طبيعتها. لابد أنّ مخاوفها وعقدها جعلتها تهرب من تجربتها الجديدة، ومنه هو، وصودف وجود صديق قديم لها هو لوثر، فعرض أن يوصلها.

إن علاقته بها قلبت حياته رأساً على عقب، وأثارت طوفاناً من المشاعر الجديدة عليه. ولا بد أن كيلي، وهي الطرف الأضعف، لم تتمكّن من استيعاب هذا نظراً لشخصيتها الحذرة الهشة. لابدّ أنها هربت لتختبئ... (أرجوك ألا تلحق بي...!) لكنه سيلحق بها، وهل لديه خيار آخر؟

١١ - اتبع فؤادك

اتصل سليد بصديق له في «شامونيكس» وطلب منه رقم هاتف تحري خاص اتصل به وأعطاه بعض التعليمات الموجزة. وبعد ربع ساعة استلم الجواب. كيلي ولوثر في طريقهما إلى همبورغ. كانت كيلي قد حجزت لسفرها في المطار فيما اشترى لوثر تذكرته منذ أسبوعين.

شجعه هذا، إذ يعني أن سفرهما معاً لم يكن متعمداً. وتابع رحلته بسيارته إلى همبورغ حيث أرسل له التحري الخاص من يستقبله عند وصوله ويعلمه بمكان لوثر وكلي.

(أرجوك، لا تلحق بي).

لكنه لن يسمح لها بأن تهرب منه. لقد رأى وجهها حين وقعت عيناها عليه، ورأى كل ردة فعل لديها. إنه يقسم على أنها تحوّلت إلى امرأة جديدة لا تعرفها هي نفسها... امرأة تهرب منها الآن.

أيعقل أن يكون مخطئاً؟

لا، لم يكن مخطئاً، فكافة المعطيات تؤكد له أنه على صواب.

وهو سيتمسك بهذا الأمل، وكان لا يزال متمسكاً به عندما وصل إلى همبورغ عند الغسق حين علم أن كيلي ولوثر توجها إلى «أردوفين» في سيارة لوثر «الفولكس واغن» الزرقاء. وهناك تناولا العشاء في مطعم ومن ثم توجها إلى نادٍ ليلي في «غنترستراس». استأجر سليد سيارة أخرى، وتفحص خريطة محلية، ثم غادر المطار. كانت «أردوفين» مدينة صغيرة جميلة في جبال الألب، تقوم على جانبي شوارعها بيوت ذات سطوح مثلثة تحيط بها حدائق صغيرة أنيقة خضراء. اكتشف سليد أن

النادي الليلي يقع في الطابق الأرضي من مستودع قديم للبضائع. وبين السيارات المتوقفة على جانب الطريق رأى سيارة «فولكس واكن» الزرقاء.

نزل من سيارته وتمطى. بدا له وكأن النهار طال إلى الأبد. منذ الصباح الباكر، حين جلس ينتظر كيلي في شامونيكس حتى الآن وهو يقف أمام نادٍ ليلي في مدينة صغيرة في شمال ألمانيا. اخذ نفساً عميقاً، ثم دخل النادي.

وسرعان ما اعتادت عيناه على العتمة فرأى كيلي على الفور. كانت هي ولوثر يرقصان على أنغام بطيئة مثيرة. ذراعاه حول خصرها، وذراعاها حول عنقه، ووجهها مدفون في كتفه. كان رأسه محنياً وشفتاه على شعرها. بدتا مأخوذين ببعضهما البعض بشكل كامل.

طعنة السكين التي شعر بها في قلبه تجاوزت حدود الغيرة إلى عذاب مبرّح لم يعرفه من قبل وخرج من النادي مترنحاً، ملاحظاً بضعف الحارس وهو ينظر إليه بدهشة. راح صدره يعلو ويهبط، فتنفس بعمق محاولاً أن يتخلص من التقلص الفظيع في صدره.

ذات يوم، في الجامعة، كان ملاكماً عديم الخبرة، فتلقى ضربة من لاعب محترف جعلته يعيش المشاعر نفسها التي أدارت رأسه الآن. أخذت المباني تتأرجح أمام ناظريه والنجوم تغيم وفروع الأشجار تدور أمام عينيه.

ببطء، وألم، ومشاعر عاصفة، واجهته حقيقة مرّة. وهي أن كيلي كانت تخبره الحقيقة طوال الوقت. لم تكن مستعدة للإخلاص لشخص واحد، وهي تنتقل فعلاً من رجل إلى رجل.

وها هي ذي تنتقل منه إلى لوثر في أقل من اثنتي عشرة ساعة. لقد آلمه هذا المشهد منذ لحظات فقط، وهو أمر لا يقبل الجدل.

تطلّب منه فتح السيارة ثلاث محاولات ثم جلس خلف المقود ببطء وأغلق الباب. جلس جامداً للغاية، مركزاً أفكاره على تنفسه.

وتدريجياً، عاد العالم إلى طبيعته. عادت الأشجار أشجاراً لا تتحرك أغصانها في هذه الليلة الساكنة الريح. كما جمدت النجوم في مكانها

المعهود، وهي تومض بهدوء، موحية ببعد فوق التصور، ووحشة لا توصف.

كلي مثل أمها، تبحث من الشفاء من أي صعوبة بتغيير الرجال. الفرق الوحيد بينهما هو، بحسب قول لوسي، أن كيلي لا تعبأ بالزواج منهم.

لقد خدعته منذ البداية حتى النهاية. أم أنه من سمح لنفسه بأن ينخدع؟ فقد اكتشف أمراً آخر في الدقائق العشر الماضية... أمراً يماثل هذا الخداع تدميراً، وهو أنه يحب كيلي.

إنه يحبها بلهفة بالغة لا نهاية لها، وذلك منذ أسابيع على الأرجح، لكنه أخفى ذلك خلف كلمات تافهة مثل (الرغبة).

كم كان غبياً! كان بليد الذهن للغاية بالنسبة إلى رجل مثله معروف بالذكاء. لقد تصرف بغباء لا يصدق، ليس لأنه لم يدرك أنه وقع في الغرام وحسب، بل فعل ذلك مع امرأة تركته من أجل رجل آخر خلال ساعات.

على الأقل، لم تعرف أنه يحبها. وهذا سره.

وتملكه الألم فأسند جبينه على عجلة القيادة.

كيف يضحك منه الشيطان؟ لقد وقع في الحب... أخيراً، أحب امرأة لا يمكنها أن تبادله الحب. افتتانه بجمالها وذكائها، جعله يرتكب أسوأ غلطة في حياته.

ولم يكن لديه فكرة عن كيفية إصلاح هذه الغلطة. كيف يمكن لإنسان أن يشفى من الحب؟

وبعد أيام، وفيما سليد يركن سيارته أمام منزل بيل هايوارد الفخم في سان فرنسيسكو، لم يكن قد توصل إلى حل لذلك المأزق. كان في طريقه إلى البيت بعد أن قدّم عروضاً تجارية في فيتنام، وكوريا الجنوبية والصين. لو كان في قمة حيويته لأرهقته هذه الرحلة لكن ما يبحث عنه بعيد عن ذلك. كان يبحث عن الخدر في مشاعره وفقدان الحس، وهذا ما وجده.

لقد أخرج كيلي من حياته، وكأنها لم تكن جزءاً منها، من دون أن يحاول

معرفة مكانها ومع من. أول ما فعله حين غادر «أردلوفين» هو أنه طلب من مساعده بيل أن يقول لكيلي، إذا ما اتصلت لتسأل عنه، إنه لن يكون موجوداً بعد الآن. (أرجوك، لا تلحق بي).

يا لسخرية هذا الطلب! لم يستطع أن يفهم بعد كيف أخطأ حكمه على كيلي منذ البداية حتى النهاية. أحياناً، كان يميل إلى الإنكار ويرى أن كيلي بريئة لم ترتكب أي خطأ. فلطالما كانت صادقة معه، حتى أنه كان أحياناً يمد يده إلى الهاتف متلهفاً إليها. لكن سرعان ما تعود إلى ذاكرته تلك الصورة التي آلمته في النادي الليلي فيغرق الأمل في بحر من المرارة والأسف.

اشمئز من عدم الاستقرار في مشاعره، فهي تتراوح ما بين الغرق في اليأس والإنكار والرجاء. كما أنه كره شكوكه، هو الذي لطالما افتخر بمعرفته لعقله وعقول الآخرين.

هل سيبقى واقفاً طوال فترة العصر عند باب بيل؟ أم أنه سيدخل ليسلّم عليها؟ رحلته إلى موطنه لن تبدأ حتى الغد لأنه تعلم من درس صعب أن يأخذ يوم راحة. وهكذا لديه ما يكفي من الوقت للزيارة. ماذا هو؟ رجل أم فأر؟ ما المشكلة في أن بيل تعرف كيلي. وما المشكلة في أنه قاطع عشاء بيل مع كيلي في أكتوبر الماضي، ليتنهي الأمر بتوصيل كيلي من هذا البيت نفسه إلى فندقها؟ لن يلغي بيل من حياته من أجل كيلي فالصداقة التي تربط بيل بأسرته هي أعمق من أن يفعل هذا.

خرج من السيارة وسار نحو الباب يضغط الجرس. وخلال لحظات كان رئيس الخدم يفتح الباب.

- مرحباً كارتر. هل الآنسة هايوارد هنا؟

- تفضّل يا سيدي.

دخل سليد إلى غرفة الجلوس الرسمية لكنه حوّل نظراته بجفلاً عن اللوحة الزيتية الصغيرة التي تمثّل رجلاً مقيداً بالسلاسل يسحبه الجند إلى الكهف. إنها صورة ذاتية، وتمنّى لو استقل الطائرة إلى موطنه في أول رحلة هذا الصباح.

هتفت بيل وهي تعانقه بسرعة: «سليد».

- مرحباً يا بيل. كيف حالك؟

- هل جئت لترى كيلي؟

جمدت ملامحه: «كيلي؟»

كرر الاسم بغباء فقالت: «إنها في الموقع حالياً. لكنها تقيم هنا. عليك أن تأتي لاحتساء الشاي معنا. ستعود في الثالثة والنصف».

- الموقع، أي موقع؟

فقالت بيل بحدة: «ألم تكن تعلم أنها هنا؟ أتراني أسأت التصرف مرة أخرى؟ يبدو أن هذه موهبة لدي، إحدى الأمور التي تتضخم مع العمر مثل خصري».

فقال بفتور: «لا، لم أكن أعلم أن كيلي هنا. جئت لأراك».

- لقد أسأت أنا التصرف بشكل مضاعف، إذن؟

فقال مزمجراً: «ما الذي تفعله هنا؟».

مالت بوجهها جانباً وأخذت تتأمله ثم قالت: «أنتما لا تنامان الليل. كيلي تتوتر أعصابها إذا ذكرت اسمك. وأنت كما يبدو، لا تعرف أين هي. ومع ذلك يبدو واضحاً أنكما تعشقان بعضكما بعضاً. كل ما أتمناه هو أن تجري الأمور على ما يرام».

- إنها لا تكنّ لي ذرة من...

فقاطعته: «هل تعرف شارع «روزاستريت»؟».

- لا، إنها لا...

فعادت تقاطعه: «إبق هنا ريثما أحضر خريطة».

وخرجت من الغرفة.

إنه في الخامسة والثلاثين من العمر، فهل سيسمح للسيدة بيل هايوارد بأن تتحكم فيه وكأنه في السادسة؟ وخرج إلى الردهة فيما عادت بيل إليه وبيدها خريطة مدينة سان فرنسيسكو. فقال بجفاء: «إذا كانت كيلي تقيم هنا معك فسأرحل».

- هذه هي الطريق إلى «روزاستريت». ستجدها في موقع بناء عند زاوية «روزا» و«فنتلي». أما الباقي فهو عائد إليك.

أخذ يحدق في الخريطة: «ما هو هذا البناء؟».

- سترى بنفسك.

وفجأة، أمسكت بكمه: «أنا أحاول دوماً ألاّ أطلب شيئاً من الجيل الأصغر سناً لكنني الآن سأحيد عن مبدئي هذا. إذهب لرؤية كيلي يا سليد. أرجوك».

لم يكن سليد يحب الإفصاح عن مشاعره أو كشف أسراره، لكنه قال: «أنا وكيلي كنا معاً وفي أحسن حال في «شامونيكس»، ثم هربت مني مع رجل آخر. أنا واثق من أنك تعرفين سمعتها. صدقيني أنها تستحقها».

- أتريد أن تخبرني أنها غير مخلصة وتخرج مع أي كان؟

- أخبرك أنها لم تخلص لي حتى يوم واحد.

- لا أصدق هذا.

فقال بخشونة: «بيل. لقد رأيتها بنفسي. هربت مع مدرّب التزلج الذي على علاقة معها منذ سنتين».

- لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. لا بد أن لتصرفها تفسيراً.

وقطبت جبينها وضاقت عيناها قبل أن تضيف: «على أيّ حال، ماذا يهمك أنت؟ إنها مجرد امرأة أخرى. تخلّص منها».

- لكنني وقعت في غرامها.

- أنت؟ تقع في الغرام؟

فأجاب بابتسامة باهتة: «نعم. وأنا أستحق ما جرى لي. أليس هذا ما تفكرين فيه ؟».

- أذهب إليها واسألها عن مدرّب التزلج ذاك. لأنها إذا كانت تتصرّف على هذا النحو فأنا... أنا... أنا...

وخانتها الكلمات فقال يساعدها بجفاء: «لا أستطيع الحكم على جوهر الناس».

www.elromancia.com

- إنها فتاة طيبة وأراهن بثروتي على ذلك.

شعر في أعماقه بأمل يعذبه من جديد فقال: «لا بأس. سأذهب إلى «شارع روزا» ».

وبعد ثلث ساعة تقريباً، كان سليد يركن سيارته عند تقاطع شارعي «روزا» و«فنتلي». رأى مبنى قيد الإنشاء في الزاوية الشمالية، بدا وكأنه مؤسسة خيرية وكان العمال يروحون ويجيئون، مرتدين سترات سميكة لبرودة الجو. وخرج من الباب الأمامي رجل يحمل حزمة أوراق زرقاء وترافقه كيلي. كانت ترتدي ملابس عمل وقد دست شعرها تحت قبعة صفراء سميكة. وقفت هي والمتعهد بجانب الطريق وراحت تشير إلى الطابق الثاني بينما أومأ هو موافقاً.

انضم إليهما عاملان، فقالت لهما كيلي ما ضحكا له.

ما الذي كان يدور بينهم؟

تصافحا، هي والمتعهد، ثم اتجهت كيلي إلى سيارة صغيرة خضراء. نزل سليد من سيارته وعبر الشارع. وعندما وقف خلفها كانت تلقي بقبعتها في المقعد الخلفي، فقال: «مرحباً يا كيلي».

قفزت مجفلة واستدارت إليه، ثم شهقت: «سليد! ماذا تفعل هنا؟».

- عليّ أن أطرح عليك السؤال نفسه.

امتزجت الصدمة بالغضب على الفور. كانت من الغضب بحيث لم تستطع الكلام إلا بصعوبة: «لم يمض وقت طويل حتى اختفيت. اتصلت بمكتبك لأخبرك بمكان وجودي، فإذا بي أسمع صوت مساعدك يقول لي بتهذيب (إنّ السيد كاروثرس لن يكون موجوداً بعد الآن) ».

وارتفع صوتها حين أضافت: «أشكرك، يا سليد. أشكرك جداً».

- دعي الخداع يا كيلي! ثمة سبب لعين جعلني أبعدك عن حياتي.

- هذا صحيح. ثمة سبب، وهو أنك مللت. لقد انتهت اللعبة.

- هذا غير صحيح، وأنت تعرفين ذلك. أخبريني كيف حال لوثر؟

طرفت بعينيها: «لوثر؟ حسب علمي، أنه بخير... ولكن ما دوره بيننا

الآن؟».

أمسك بذراعها بشدة فانغرزت أصابعه في لحمها: «لقد تركتني لتذهبي إليه. لِمَ فعلت ذلك، يا كيلي؟ كيف فعلت ذلك؟».

فتحت فمها ذاهلة: «أتقول إنني تركتك من أجله؟».

- لا تتظاهري بالبراءة... فقد انتهينا من ذلك.

- هذا مؤكد. والآن، دع ذراعي. إنك تؤلمني.

- لن أتركك حتى أحصل على بعض الأجوبة. أجوبة صادقة ولو مرة واحدة... إذا كان بإمكانك ذلك.

- قلت إنّ بإمكاني أن أثق بك... وإنك لن تلقي بي جانباً... إنك...

- هل ثمة مشكلة، يا كيلي؟

التفت سليد وهو لا يزال قابضاً على ذراعها، ليرى المتعهد واثنين من العمال واقفين بجانب الطريق، وجميعهم ينظرون إليه بحذر. فقال سليد بعنف: «كلا».

فقالت كيلي: «نعم».

فقال سليد وهو يصرف بأسنانه: «المشكلة الوحيدة هي أن الماضي لحق بها. أريد أجوبة وسأحصل عليها. وهكذا عليكم ألاّ تتدخلوا، أيها الرجال».

فقال المتعهد: «أتريدينا أن ننصرف، يا كيلي؟».

نظرت إلى سليد بعداء: «ربما لا... ومع ذلك...».

فقال سليد للمتعهد بصوت متوتر: «فلنبدأ حالاً، ما هو هذا المبنى وما علاقتها به؟».

فأجاب: «إنه مدرسة للمشردين، ولإعادة تأهيل المدمنين على المخدرات. إنها على نفقة كيلي بالإشتراك مع بيل هايوارد».

نظر سليد إلى كيلي: «هل هذا صحيح؟».

- نعم...

فقال وذهنه يعمل بسرعة: «هذا ما تفعلينه في أوروبا أيضاً، أليس كذلك؟ أولئك الأولاد الذين التقيناهم في تيفولي... هل كانوا في إحدى مدارسك؟».

عندما أومأت مرة أخرى قال بعنف: «لماذا لم تخبريني؟».

- أنا لا أتحدث عن هذا الموضوع للصحف، أو لأصدقائي، وخصوصاً لأبويّ.

- أو لي أنا.

وفكر مستغرباً في أنه ما زال لديها القدرة على أن تؤلمه.

- لم أكن أعرفك جيداً.

- بل كنت تعرفينني بما يكفي.

والتفت إلى المتعهد قائلاً: «لقد وقعت في غرام هذه المرأة، وهو أغرب تصرف...».

فشهقت ورأسها يدور: «أنت لست مغرماً بي».

- بل أنا كذلك.

ثم عاد يخاطب المتعهد: «ربما لدى كيلي الكثير من المال لكن خلفيتها سيئة للغاية. إنها، وبدلاً من أن تهتم برغباتها الخاصة، تبني مدارس للأولاد المشردين، وهذا ما يدعو إلى الإعجاب البالغ. لكن، ما لم تتفاهم مع أسرتها فهذا لن ينفعها أو ينفعني أنا».

- اسكت، يا سليد. أكره أن تتحدث عني وكأنني غير موجودة.

- لقد لحقت بك إلى «أردلوفين»، فرأيتك مع لوثر ترقصان في نادٍ ليلي. كنتما غاية في الانسجام. كنا معاً يا كيلي، في ذلك اليوم بالذات.

فقالت بحذر: «هل رأيتني أنا ولوثر في النادي الليلي؟».

- تهانيّ. لقد فهمت الرسالة أخيراً.

فقالت مؤكدة بعنف: «أنا لم أهرب مع لوثر، إنه صديق، وصديق حميم وهذا كل ما في الأمر».

- لم يبد الأمر لي بهذا الشكل.

نظرت من فوق كتفها إلى الرجال الثلاثة الواقفين بجانب الطريق وقالت: «سليد. هل علينا أن نناقش هذه التفاصيل أمام الناس؟».

فقال المتعهد: «نعم. فهو رجل ضخم، وغاضب للغاية. سنبقى واقفين حتى نرى كيف سينتهي الأمر».

فقالت: «لا بأس، يا سليد. أنت المسؤول عن ذلك. لقد هربت منك في «شامونيكس» ولن أعتذر عن ذلك لأنك قلبت حياتي رأساً على عقب وأخفتني حتى الموت. وكان لوثر سيعود إلى بلدته لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، فذهبت معه. أما في النادي فكان يواسيني بعد أن أمضيت معظم الساعتين أبكي على كتفه. لم أستطع احتمال فراقك».

حدق فيها بصمت. كان النسيم يشعث شعرها حول وجهها، وعيناها تتضحان صدقاً لكنه قال: «كانت ذراعاك حول عنقه».

فقالت بحدة: «كنت مرهقة. لو لم يكن يمسك بي لوقعت أرضاً. أدركت أنني لو بقيت في ذلك الفندق في «شامونيكس» معك، لوقعت في حبك. وماذا بعد ذلك؟ أتزوجك؟ كما تزوجت أمي كل الرجال الذين وقعت في غرامهم؟ هذا غير ممكن».

فسألها بلهفة: «هل تحبينني، يا كيلي؟».

تخللت شعرها بأصابعها: «لا! ربما. لا أدري. فأنا لم أحب أحداً في حياتي. وعندما تحدثت إلى مساعدك كنت من الغضب بحيث حاولت جهدي لكي أكف عن التفكير فيك».

- وهل نجحت؟

حلقت فيه، فالحقيقة هي أنها فشلت في ذلك تماماً: «ماذا؟».

- أخبريني مهما كان الرد.

- كنت سأسأل بيل الليلة ما إذا أصبح لديك صديقة جديدة.

فقال: «هذا أكيد. لقد خرجت مع تسع نساء في الليالي التسع الماضية. صدقيني أنني أحبك يا كيلي... ألا تفهمين؟».

أخذ سليد يدعك رقبته المتوترة كالفولاذ، وقال بألم: «لقد أسأت

الحكم عليك. هل من الممكن قبول اعتذاري؟».

فقالت كارهة: «أظن ذلك».

عادت وسألته باهتمام: «هل تصدقني يا سليد؟ لأنك إذا لم تصدقني فقد انتهى حقاً ما بيننا».

فقال بهدوء: «نعم. أنا أصدقك».

وأضاف وهو يضع يده على كتفها: «كيلي، الطريقة الوحيدة لمعرفة ما إذا سأكون مخلصاً لك طوال الحياة هي أن تتزوجيني، وتعيشي معي فننجب أطفالاً ننشئهم معاً، ونمنحهم الحب الذي افتقدته أنت في طفولتك. ربما بعد عشرين عاماً، ستدركين كيف تترافق السعادة مع الحب، الحب الحقيقي الدائم».

فقالت من دون تفكير: «أنت تستعجل الأمور».

مال سليد نحوها ولامس أنفها: «هيا... يمكنك مواجهة الصعاب...».

فقال المتعهد: «لا بأس يا رجال، من الأفضل أن نعود إلى العمل، وإلاّ ستطردنا الرئيسة».

وضحك لكيلي فقالت: «سأراك غداً الساعة الثامنة».

- من الأفضل أن تكون الساعة التاسعة.

وعندما عبست، قال سليد بمرح: «لقد دعتنا بيل لأن نعود لتناول الشاي. أنت تعرفين بيل ودقتها في المواعيد».

ودّعت الرجال الثلاثة، ثم صعدت إلى سيارتها: «سأراك هناك يا سليد».

صعد إلى سيارته ثم تبعها إلى منزل بيل. لم يشأ أن يجلس في غرفة الاستقبال ويشرب الشاي بشكل لائق بل يريد البقاء مع كيلي فقط، علّه يؤمن بأنها عادت إلى حياته حقاً.

لا بد أنها شعرت بالغدر عندما حاولت أن تتصل به بعد لقائهما في «شامونيكس» ليقول لها المساعد إنه لم يعد موجوداً. كيف بإمكانه أن يكفّر

عن ذلك؟

عندما أخذ يصعد الدرجات المؤدية إلى باب بيل، كانت كيلي قد أصبحت في الداخل. ففتحت بيل بنفسها الباب، قائلة: «نحن في غرفة الشمس».

وعندما دخل الغرفة بأثاثها الخيزراني الجميل وجوّها المعطر كانت كيلي مشغولة بزينة شجرة الميلاد. قالت بيل: «هوذا الشاي. اجلس يا سليد، لأنك تبدو أشبه بأسد في قفص. وأنت أيضاً، يا كيلي...».

أطاعتها كيلي ما أدهش سليد، بينما تابعت بيل قائلة: «تقدم وتناول الشطائر والحليب، يا سليد».

أومأ سليد والتهم شطيرة دفعة واحدة، مدركاً بدهشة، مقدار جوعه. وتناول شطيرة أخرى. متى كانت آخر مرة تناول فيها الطعام؟

قالت بيل بهدوء: «يبدو لي أن الأمور لم تستقر بينكما. كيلي، أول مرة رأيت فيها سليد كان طفلاً على ذراع أمه. عرفته طوال حياته وكان مثار إعجابي على الدوام. إنه...».

فقال سليد: «بيل... اسكتي».

فردت بحدة: «اسكت أنت. إذا قال لك سليد إنه يحبك يا كيلي، فهو يحبك حقاً. ليس لديه (إذا) و(و) و(ولكن). إنه لا يقوم بعمل ناقص أبداً. لهذا، دعي التفكير في أنه سيهرب منك كما هرب أبوك من أمك، فهو لن يفعل ذلك».

- هذا ما يقوله هو.

- اصغي إليه إذن. تعرّفي إليه أكثر قبل الارتباط إذا كنت خائفة من الزواج.

فقالت كيلي بحدة: «هذا التزام أيضاً».

مالت بيل إلى الأمام: «مدارسك هدية رائعة للعالم. لكن حان الوقت الآن لكي تعودي أنت إلى المدرسة لتنسي الدروس التي تعلمتها من أبيك وأمك، وتتعلمي ما يمكن أن يعلمك إياه سليد. يجب أن تبني شيئاً جديداً

www.elromancia.com

لكما».

كانت كيلي تنظر إلى بيل عابسة ثم سألتها: «كيف أمكنك أن تعرفيني إلى هذا الحد؟».

– لقد أحببتك منذ دخلت بيتي، مقترحة بناء مدرسة في أرضي في شارع «روزاستريت»، وإلا هل تظنين أني كنت سأسمح لك بحضور حفلتي في الحديقة بدون قبعة؟

فقالت كيلي بابتسامة خفيفة: «وبسروال أيضاً».

فقالت بيل: «تسام مع الطفل، اتبع ميول قلبك، اركض مع الذئاب. هذه هي كاليفورنيا».

وكانت كيلي لا تزال عابسة: «عليّ أن أتعلم الثقة أولاً».

فقالت بيل: «بالضبط. أقترح أن تصعدي إلى غرفتك وتحزمي أمتعتك ثم تذهبي مع سليد إلى حيث يذهب. ألا تبدأ كل رحلة بخطوة واحدة؟».

فقال سليد: «جاء دوري للحديث. أتمنى لو أنك أخبرتني عن المدارس يا كيلي».

فأجابت بارتباك مدركة أنها مدينة له بتفسير: «هذا صحيح. لكن لو تحدثت عنها، لاضطررت لأن أعترف بأنني لطالما شعرت بأنني طفلة مهجورة».

عندئذ، قال لها: «تعالي معي».

إنها لحظة الاختيار. البقاء أو الهرب. وقالت بفتور: «لا بأس، سأرافقك».

وفي غمرة الصمت، دقت الساعة في الغرفة المجاورة دقة واحدة.

١٢ - وعدان عظيمان

قالت كيلي وهي تقف لتخرج من الغرفة: «سأحزم أمتعتي».

حاول سليد جهده ليتحدث مع بيل عن أشياء أخرى عدا كيلي، حتى رآها واقفة عند العتبة وهي تحمل حقيبة ملابس صغيرة سوداء. قالت: «أنا جاهزة. سنأخذ السيارتين يا بيل، لأتمكّن من الذهاب إلى موقع البناء متى شئت».

وهكذا لم ينفرد سليد بها إلا بعد حين. قال في محاولة منه ليشعرها بالراحة: «ما أكلناه لا يكفي، أتحبين أن نذهب إلى المطعم لنأكل؟».

وضعت حقيبتها على الأرض ثم وضعت راحتيها على صدره وقالت: «لا أستطيع أن أعدك بأنني سأحبك أو أتزوجك لكنني أعدك بألاّ أهرب مرة أخرى وأن أخلص لك».

فقال بصوت أبح: «هذان وعدان عظيمان».

فقالت وهي تلامس خده: «وأنا أريد منك وعداً بألاّ تنبذني مرة أخرى، كما حدث لي مع مساعدك. لا أستطيع أن أصف لك كما كان شعوري فظيعاً. شعرت وكأنني لم أكن موجودة قط بالنسبة إليك».

– طبعاً أعدك، يا كيلي. أسفي أكبر من أن أستطيع التعبير عنه. كان عليّ أن أواجهك في النادي الليلي ذاك، وأتفاهم معك. لكن ذهولي كان بالغاً. وكل ما استطعته هو أن أخرج بسرعة، وأبعدك عن حياتي. وكلما وجدت نفسي راجياً، واثقاً من براءتك، كانت صورتكما وأنتما ترقصان في ذلك النادي الليلي، تخبرني بالعكس.

فعضت شفتها وقالت: «هذا بسبب قصاصات الصحف التي أريتها لك

www.elromancia.com

وتأكيدي الدائم على أنني أنتقل من رجل إلى آخر... لقد قمت بعمل جيد، جيد جداً، أليس كذلك؟».

- أسوأ ما في الأمر هو أنني لم أعد أثق بصحة حكمي على الآخرين.

- لكنك تحبني.. هل تعني ذلك؟

فقال بصوت أبح: «اليوم، وغداً، وإلى الأبد».

- ما الذي فعلته لأستحق هذا الحب كله؟

- لا أدري إذا كان علينا أن نفعل شيئاً لنحصل على الحب. أظنه هبة من الله.

وعندما سالت دمعة على خدها مسحها وهو يقول: «اشتقت إليك».

- لقد افتقدتك بشكل هائل، يا سليد. كنت مضطربة للغاية وعشت تجربة فظيعة. ربما عليك أن تشكر لوثر... فقد أصغى بصبر إلى نواحي وشكواي.

- في المرة القادمة، ستقدمينني إليه.

فقالت باسمة: «اتفقنا».

ودفن وجهه في شعرها المعطر وقال: «أنا أحبك يا كيلي. أحبك».

توسلت إليه، متمنية لو بإمكانها أن تقول له مثل قوله هذا: «ضمني إليك».

احتضنها بشدة وهو يقول: «ها أنا أحتضن العالم كله بين ذراعي. ثقي بي، يا حبيبتي. ثقي بأنني سأبقى دوماً معك، مهما حصل».

الثقة. تلك الكلمة مرة أخرى. تراجعت خطوة إلى الخلف وهي تردد قول بيل: «كل رحلة تبدأ بخطوة أولى».

وهو يقول: «شعرك أشبه بالضباب. ضباب البحر».

فسألته بحدة مفاجئة: «أيمكنك أن تعيش بجانب البحر؟».

- نعم.

ولم يشأ أن يقول إنه مستعد لأن يعيش معها أينما كان.

- عندما كنا نعيش، أنا وأمي، مع بيت، عشقت الاستيقاظ على

صوت تكسر الأمواج على الشاطئ.

وتكوّنت في ذهن سليد فكرة، مع أمل هو من الضخامة بحيث أخافه. وأمسك بيدها يرفعها إلى شفتيه متمتماً: «كيلي الجميلة...».

فقالت الحقيقة الوحيدة التي تعرفها: «أنت منحتني أكثر مما حلمت به».

- ألا ترين ما يحدث؟ أنت تتقبلين كل ما أعطيك. لقد ابتدأت تفتحين قلبك.

استجمعت ما لديها من شجاعة، وقالت ونظراتهما تتشابك: «أنت تغيرني».

- بل أنت من تغيرين نفسك.

آخر ما يريده الآن هو أن يوقظ مخاوفها، أضاف قائلاً: «ألا ترغبين في تناول الطعام؟».

- بلى، فقد أنهكني الجوع.

وفي الصباح التالي تأخرت كيلي في الوصول إلى حيث البناء في «شارع روزا».

وبينما كيلي في عملها، راح سليد يتفقد بعض الأبنية ويتصل ببعض السماسرة. وعندما لاقته كيلي، أخذ يعانقها وكأنها غابت عنه ثلاثة أشهر وليس ثلاث ساعات.

دفنت وجهها في صدره: «أتعلم؟ أنا أتسلى معك يا سليد».

فقال: «وهذا ما أهدف إليه. إذا كنت قادرة على السفر، سنسافر شرقاً صباح الغد. ثمة ما أريدك أن تريه».

رفعت رأسها: «يمكنني السفر بالتأكيد، فالمدرسة تتخذ شكلاً جميلاً. ولكن ماذا ستريني؟».

- مفاجأة. السؤال ممنوع.

وبعد يومين، كان سليد وكيلي في سيارتهما على شاطئ «مين». وعندما وصلا إلى رأس بحري منعزل أوقفا السيارة بجانب بوابة من الحديد فتحها

www.elromancia.com

بمفاتيح أحضرها من المطار.

سلك طريق المنزل الخاص الذي يخترق غابة صنوبر تنوء أشجارها تحت الثلج. كان المنزل المواجه للبحر مبنياً من الحجر وخشب الأرز وقد بدا ثابتاً راسخاً قادراً على أن يقاوم العواصف العاتية. وعندما أطفأ سليد المحرك، همست كيلي: «الشيء الوحيد الذي يمكنني سماعه هو الأمواج على الشاطئ... يا له من مكان رائع».

- يمكننا أن نشتريه، ليصبح بيتنا الأساسي.

عضّت شفتها وقلبها يخفق ثم سألته: «هل تعرض عليّ الزواج؟».

فقال: «هذا القرار أتركه لك. وجودنا معاً يكفيني حالياً».

- هذا كثير.

- أتريدين أن تدخلي المنزل؟ لدي المفاتيح.

- أنا متلهفة لذلك.

وأدركت مرة أخرى أنه يفقدها توازنها. أن تتزوجه؟ أيمكنها ذلك؟ جالت كيلي في الغرف، ناظرة من النوافذ إلى مشاهد الخليج الخلابة، والجزر القريبة من الشاطئ، وقالت حالمة: «سنحتاج إلى مائدة كبيرة من خشب السنديان والكثير من السجاد الملون. آه، يا سليد. انظر إلى السلم!».

كان ثمة سلم رائع من خشب الجوز يؤدّي إلى الطابق الأعلى. صعدت السلم، مليئة بالسعادة، وهي تلامس الدرابزين الرائع الصقل واللمعان. تبعها سليد واهتمامه منصب على كيلي أكثر منه على تفاصيل المنزل، وهو يرى إعجابها به، لا بل هو أكثر من مجرد الإعجاب. وخفق قلبه لذلك.

كانت غرفة النوم الرئيسية تطل على البحر، وأرضها مغطاة بخشب البتولا الباهت اللون. سارت إلى النافذة تنظر إلى البحر. كم هو محب وحساس وكم راعي مشاعرها حين اشتري بيتاً كهذا ليسرّها ويذكرها بفترة من طفولتها كانت فيها سعيدة حقاً؟

وقف خلفها وقال: «إنه بعيد جداً عن الحضارة».

فقالت: «إذا احتفظنا بشقتينا في مانهاتان وميلان، وبيتك في فلورنسا، لما تركت العزلة أي تأثير علينا».

شقتينا؟ ودار رأسه، ثم قال: «إذا هبّت عاصفة ثلجية، فسنُحبس في البيت أياماً».

طوقت عنقه بذراعيها وابتسمت في عينيه: «ما دمنا معاً، فهذا لا يهمني».

كانت ترتدي كنزة برتقالية اللون، ومعطفاً وسروالاً بخضرة الزيتون. ومرة أخرى كانت تضع القرطين هديته لها.

وأمالت رأسها جانباً مضيفة: «يا إلهي يا سليد، ماذا لو أن الأمر لم ينجح؟».

- وماذا لو أن نجماً مذنباً اصطدم بالأرض؟

- هم... ما هي المهلة المحددة لتقرر بشأن البيت؟

- سيعرضون البيت عليّ قبل أن يبيعوه لأحد. لا أريد أن أستعجلك، يا كيلي. يمكنني أن أشتري البيت ساعة أشاء، وسننتظر ونرى.

لكنه كان متلهفاً لمعرفة جوابها الآن رغم كل ما قاله.

- أشعر بالبرد، يا سليد.

ضمّها إليه وقال: «لا تنسي كم أحبك».

فقالت بصوت خافت: «ابتدأت أثق بذلك، أيضاً».

تعانقا بصمت وكأنهما في حلم، والألفة تزداد بينهما مع كل لحظة تمرّ. بعدئذ، نزلا إلى الطابق السفلي متجهين إلى الباب الخلفي فقالت برقة: «أكره أن أغادر هذا المكان».

- لا أحد غيري سيشتري هذا البيت. سأحرص على ذلك.

كانت تمسك بيده بشدة بالغة وهي تقول: «إننا سنفترق غداً كل في طريقه. أنت إلى «مكسيكو»، وأنا إلى «مارسيليا» لأرى إن كانت المدرسة بحاجة لشيء».

- سأعود بعد يومين، وأنت ستغيبين خمسة أيام فقط.

ارتجفت فجأة وتوترت ملامحها: «ما أغباني، فلنذهب».

تلهف لأن يحميها وحتى لأن يقول لها بأن تؤجل سفرها إلى «مارسيليا» فيما يرسل هو نائباً عنه إلى «مكسيكو سيتي»، لكنه يعلم أن ذلك سيقود إلى كارثة، فهما بحاجة إلى استقلالهما. قال: «لن أختفي، يا كيلي. لن أخذلك. ولن أتوارى إذا صعبت الأمور بيننا، وهذا سيحدث عاجلاً أم آجلاً».

- تبدو جاداً للغاية.

- الالتزام لا يقتصر على مراسم الزواج فقط.

حاولت جاهدة أن تتخلص من الضيق الذي تملكها، فقالت: «فلنعد إلى الفندق لنتناول حساء السمك».

صعدا إلى السيارة وانطلقا من دون أن يلقيا نظرة إلى الوراء.

عاد سليد من مكسيكو قبل عودة كيلي بثلاثة أيام. كان من الضيق بحيث لم يستطع انتظارها، فتوجه في اليوم التالي إلى «مين» في الشمال وقصد المنزل. سيشتريه حالاً بدلاً من أن ينتظر قرار كيلي. لقد عشقت المنزل، وهذا هو المهم.

طاف في الغرف الواحدة بعد الأخرى، مسجلاً ملاحظات عما يحتاج إلى إصلاح. وفي غرفة النوم، وقف في الباب يبتسم بغباء وهو ينظر إلى الأرض الناعمة. وأخيراً، راح يجول متثاقلاً في الغابة خلف المرآب. كان وكيل الأملاك قد أخبره بأن المنزل الأساسي بُني منذ أكثر من مئة عام وأنه لا يزال قائماً: «لعلك ترغب في أن تهدمه، فهو خطر إلى أقصى حد. يدهشني أن أصحابه الحاليين لم يهدموه».

كانت الشمس تهبط نحو المغيب والحرارة تتدنى. سيسير عشر دقائق أخرى ثم يعود إلى السيارة ومن ثم إلى الحضارة.

قريباً جدا سيقابل كيلي. هل من رجل وقع في الحب إلى هذا الحد الذي لا نجاة منه كما فعل هو؟

ومن خلال الأشجار الكثيبة رأى الجدران المعتمة والسطح. سار بحذر

بين أشجار الصنوبر ذات الفروع الحادة حتى اقترب من البيت القديم. كان السطح مقوساً، والنوافذ عبارة عن فجوات سوداء، وتملكته قشعريرة. ذات يوم عاشت هنا أسرة، وما بقي ليدل على حياتهم هو بيت متداعٍ هاجرت أحلامه إلى ما خلف الغابة.

كاد يتراجع بحثاً عن النور والدفء. أراد أن يتحدث إلى كيلي، ويطمئن نفسه إلى أنها حقيقية، ثم عنف نفسه لأنّ مخيّلته أصبحت خصبة بهذا الشكل. فتح الباب فتصاعد صريره أشبه بصوت حيوان في فخ. لكنه لاحظ أن بعض ألواح الأرض الخشبية لا تزال تحتفظ بأثر من لمعانه، وما بقي كان مهتزئاً، أما السقف فيتسرب منه الماء.

دخل بحذر، يحرص على السير في أطراف الغرفة. وفي غرفة الاستقبال وجد بعض الصور القديمة على الجدار، وعندما تناول إحداها ليرى إن كان ثمة كتابة على قفاها، تصاعد صوت من جيبه جعله يقفز. إنه هاتفه الخلوي رمز القرن الواحد والعشرين. سحبه وقال: «آلو».

- سليد، أنا كيلي. سليد، هل أنت هنا؟.

- نعم. أنا هنا. ماذا حدث؟ أين أنت؟

وتشبث بالهاتف وقد نفد الضيق البادي في صوتها إلى أعماقه.

- أنا في مطار «كيلسنغتن». تلقيت اتصالاً من بيرون، زوج أمي يعلمني فيه أنها أصيبت بنوبة قلبية. إنه يقول إنها ليست خطرة، لكنني لا أثق به... لهذا عدت من مارسيليا باكراً. سليد، هل يمكنك أن تأتي على الفور؟ ظننت أنّ بإمكاني مواجهة هذا الأمر وحدي. لكنني لا أستطيع. أنا... أنا بحاجة إليك... بحاجة لأن تكون معي.

فقال على الفور: «بكل تأكيد. سأحضر حالاً».

كيلي تعترف بأنها بحاجة إليه، وهو سيحرك السماء والأرض لكي يكون بجانبها.

- ستحضر؟

- طبعاً. أليس هذا ما تريدين؟ سأكون عندك في أسرع وقت ممكن.

أنا في «مين» في البيت. لماذا لا أتصل بك عندما أصل إلى المطار؟ حينها يمكنك التأكد من موعد وصولي».

فقالت بارتياح بالغ: «شكراً لك. هذا الشكر لا يكفي... لكنني أعنيه حقاً».

- أعدك بأن أكون عندك الليلة. تماسكي يا حبيبتي، قد يكون بيرون صادقاً.

- أنت محق، قد يكون صادقاً. آسفة. أنا متضايقة ولا أستطيع التفكير بشكل صائب. سأذهب الآن. سأستقل سيارة أجرة إلى المستشفى وقد أبقى هناك طوال الليل. لكنني سأراك في ما بعد.

فقال بحرارة: «أحبك. إياك أن تنسي هذا، وأرجو أن تتحسن حالة أمك. سأراك في أسرع ما يمكنني. يمكنني أن أمكث معك في المستشفى. إلى اللقاء».

أعاد الهاتف إلى جيبه وذهنه مشغول بكلي الوحيدة في مطار كنتاكي. وما لبث أن اندفع خارجاً من غرفة الاستقبال عبر المطبخ.

وارتفع صوت خشب الأرض المهترئ، وإذا بالجزء الذي يسير عليه من أرض المطبخ ينهار متناثراً في الأنحاء، فتشبث بطرف الألواح الخشبية بانفعال شديد، فيما اندفع هاتفه في الجوّ ليستقر عند آخر السلم.

تفتتت ألواح الخشب تحت أصابعه ومدّ ذراعيه يبحث بلهفة عن شيء يتمسك به، وإذا به يسقط في ظلام قبو قديم فاصطدم رأسه بصخرة، بينما انثنت ذراعه تحته. وفي لحظة، أحسّ بألم لا يمكن تصوره.

ثم، وبرحمة من الله، غمره ظلام دامس.

١٣ - امرأة التناقضات

كان في الحادية عشرة من عمره، وحده في الظلام، لا يعرف أين هو ولا سبب وجوده في هذا المكان. لا يعرف سوى الرعب.

أدرك سليد في فيض من الارتياح أنّ عينيه مغمضتان، وهذا هو سبب الظلام الذي يكتنفه، فتحهما ببطء... الصمت يسود في المكان لكنه لم يكن مستلقياً على الأرض الخشبية لخزانة، بل على أرض حجرية صلبة باردة، رطبة حتى من تحت ملابسه. أين هو؟ إن رأسه يؤلمه. وعندما حاول أن يغيّر وضعيته، انطلقت من بين شفتيه صرخة ألم. وجمد مكانه.

وفجأة، تذكر أين هو. في قبو منزل قديم في «مين»، بعد أن سقط من خلال فجوة في الأرض. كيلي. كان في طريقه إليها لأنها بحاجة إليه.

وبذراعه السليمة، أخذ يبحث عن هاتفه قبل أن يتذكر، وقد تملكه الرعب أنه تدحرج إلى أسفل السلم. وشعر بصداع شديد فرفع أصابعه إلى جبينه لتعود إليه لزجة. لقد اصطدم رأسه بالأرض الحجرية. هذا ما حدث. سقط عندما كان يتفحص المنزل والوقت أول الغروب ثم أغمي عليه والآن حل الليل.

إنه ليس صبياً مسجوناً في خزانة بل رجل ناضج لا يمكن أن يتملكه الذعر. وعاودته ذكرى جزء من اللغز المروّع. كيلي في «كنتاكي» مع أمها، ولا بد أنها تتساءل أين تراه يكون. إنها تتوقع منه الانضمام إليها فقد وعدها بأن يتصل بها من المطار. لا بدّ أنها تظن الآن أنه أخلّ بوعده وهرب منها مثل أبيها وأمها. عليه أن يخرج من هنا ثم يتصل بكلي ويشرح لها سبب تأخره. وبحركة سريعة، استقام فغمره الألم وزمجر

كحيوان جريح.

عضّ شفته ونظر إلى ساعته فوجدها تشير إلى السابعة إلا عشر دقائق صباحاً. وشعر بالغثيان. لقد غاب عن الوعي أكثر من اثنتي عشرة ساعة. وأمضت كيلي الليل كله بجانب سرير أمها وحدها.

دفع نفسه إلى أعلى مستعيناً بذراعه السليمة ثم وقف على قدميه وهو يصرف بأسنانه وسار على الأرض غير المستوية مترنحاً، مادّاً يده إلى الأمام كيلا يصطدم بالجدار... وعندما لمست أصابعه حجراً بارداً، تابع المسير حتى الزاوية. وبعد ما شعر وكأنه دهر، رأى نفسه يعود من حيث بدأ. لم يجد باباً يؤدي إلى الخارج. لكن وبينما هو يبحث عنه، عثر على كومة أحجار بعضها مسطح. سيكومها فوق بعضها البعض، ثم يتسلقها ليخرج من القبو. كانت ركبتاه ضعيفتين فجلس على أقرب حجر، واستخدم حزامه كعلاّقة لذراعه المكسورة. بعدئذ، حاول أن يستعيد قواه، ثم انتفض قلبه في صدره وهو يرى الضوء يتسرب من خلال الألواح الخشبية ما مكّنه وللمرة الأولى، من أن يرى الفجوة في الأرض. كان ضوءاً خابياً للغاية، لكنه شجعه. وقف مرة أخرى، ثم سار إلى الجدار وإذا بقدمه تصطدم بحجر كبير.

كان الحجر أكبر من أن ترفعه يد واحدة، لكنه تمكن من أن يحركه ببطء بالغ باستعمال قدميه وذراعه. وضعه تحت الفجوة وفكر عابساً، في أن تحريك هذا الحجر كان سهلاً، أما الحجر الثاني فعليه أن يرفعه ويثبته فوقه.

بدت له الفجوة عالية جداً لكنه تذكر كيلي. وبعد ثلاث ساعات، استطاع أن يضع الحجر الرابع على الكومة. حجران آخران ويصبح حراً.

على الرغم من البرد، كان العرق يسيل منه. وشعر برغبة شديدة في زجاجة ماء بارد وكعكة محلاة ومغطاة بالقشدة.

وكيلي... كم يحبها، وكم يخشى أن تستقل الطائرة إلى أوروبا لتختبئ منه، مقتنعة بأنه خان ثقتها به. وكيف يلومها لوصولها إلى هذا الاستنتاج؟ وبطاقة متجددة، وضع الحجر الخامس على الكومة. وعلى الرغم أن الحجر

الأخير كان الأثقل، إلاّ أنه وضعه في مكانه، ثم أمضى نصف ساعة يدس حجارة أصغر حجماً في الفجوات لكي يثبت الكومة جيداً.

في ما بعد، لم يشأ سليد أبداً أن يتذكر كيف خرج من القبو. كان يعلم أن هذا كلّفه كل قوته وعزيمته.

أصعب مرحلة كانت العثور على مكان غير مهترئ ليتمسك به بينما هو يتأرجح على كومة من الأحجار. وبدفعة أخيرة، ومستعيناً بكل الطاقة التي في عضلات ساقيه رفع نفسه بين ألواح الخشب الأرضي، ثم انقلب على جانبه لاهثاً، وعيناه مغمضتان. بعد الآن لن يعتبر الكسر في الذراع أمراً تافهاً.

رأى هاتفه الخلوي عند أسفل السلم، ونظر إلى ساعته فوجدها تشير إلى الواحدة. وتصاعد الدم إلى رأسه. لعل كيلي تحلّق الآن فوق المحيط الأطلسي مغادرة البلاد. واندفع على ركبتيه، زاحفاً نحو أسفل السلم حيث هاتفه.

- سليد. هل أنت في الداخل؟ أين أنت يا سليد؟

أتراه يهلوس؟ لابد أنه يفعل فهو يسمع صوت كيلي فيما هو يبعد عنها مئات الأميال. غرز أظافره في الجص القديم للجدار، ثم استقام على قدميه.

لمح ظلاً أمامه، فنظر من فوق كتفه. كانت كيلي تقف عند عتبة الباب المفتوح. وعندما حاولت أن تتخطى العتبة، شهق قائلاً: «قفي. الأرض محطمة».

إنتقلت عيناها الذاهلتان من الفجوة في الأرض إليه، وهتفت بصوت لم يميزه: «رأسك، إنه ينزف، كما أن ذراعك...».

فقاطعها شاعراً بعدم الارتياح: «لقد وقعت في القبو... واستغرق الخروج منه هذا الوقت كله».

- سليد... كان يمكن أن تموت...

- ما كنت أستحق أقل من هذا فما فعلته أحمق.

- أنا قادمة لأساعدك. تبدو وكأنك ستقع أرضاً.

- ابقي مكانك يا كيلي. هذا أمر.

وتقدّم شيئاً فشيئاً، ملتصقاً بالجدار قدر إمكانه متوجهاً نحوها حتى وصل أخيراً إلى العتبة على بعد إنشات منها. كانت تلبس كنزة وسروالاً، وقد اتسعت عيناها للغاية وشحب وجهها. دسّت وجهها في كتفه وهي تقول متلعثمة: «جننت من القلق».

أبعد ذراعه المكسورة وضمها إليه وأراح خده على شعرها: «أنا آسف للغاية، يا كيلي. تصورت أنك ستتجهين إلى أوروبا مباشرة فلا أراك أبداً بعد ذلك».

- لقد فكرت في ذلك فعلاً. صدقني.

- ولِمَ لم تفعلي ذلك؟

ردّت: «أنا هنا، وهذا هو المهم. سيارتي مركونة بجانب المنزل. من حسن الحظ أنك تركت البوابة مفتوحة. سآخذك إلى أقرب مستشفى، وبعد ذلك نتحدث».

- لا أظنك تحملين معك قهوة أو حتى ماء.

- في السيارة قهوة ساخنة وفطائر. هيا، ضع ذراعك السليمة على كتفي.

- يمكنني أن أسير وحدي...

فقالت غاضبة: «افعل ما يقال لك».

وعادت فتساءلت كيف يمكنها أن تغضب منه وهو الذي أفزعها لتوه وهي تراه قد كبر عشر سنوات؟

فقال: «لا بأس. فلست واثقاً من أن ساقيّ قادرتان على أن تحملاني. أتعديني بأن تدفئي السيارة إلى أقصى حد؟».

- نعم، والآن، فلنذهب.

- تجنبي إصدار الأوامر، كما سبق وقلت لك.

لكن عندما طوّق كتفها بذراعه قال بصوت أبح: «شكراً يا كيلي على حضورك».

- أهلاً وسهلاً.

كانت الأرض غير مستوية والأشجار كثيفة إلى حد مزعج لكنهما وصلا في النهاية إلى سيارة كيلي المستأجرة.

قالت: «سنترك سيارتك هنا وفيما بعد نرسل شخصاً لإحضارها. أعطني الآن مفتاح البوابة لكي أقفلها عندما نخرج».

- حقيبة ملابسي في سيارتي. هل يمكنك أن تحضريها؟

أعطاها المفاتيح ثم جلس في سيارتها وقلبه يخفق بسرعة. صعدت كيلي إلى مقعدها خلف المقود، ثم قدّمت له فنجان قهوة يتصاعد البخار منه، مسرورة لتمكنها من القيام بشيء يريحه، بدلاً من أن تنهار باكية كطفلة، مما لا ينفعه في شيء.

- إنها قهوة رائعة، أظنك تحدّثت عن فطائر؟

وأخذ يلتهم الفطائر فيما هي تقفل البوابة. وعند عودتها إلى السيارة، تناولت بطانية من المقعد الخلفي وطوتها لكي تسند بها ذراعه.

- أتظن أن ذراعك مكسورة؟

- لا بد أنها كذلك، فهي تؤلمني جداً.

- سنصل إلى المستشفى بعد نصف ساعة.

وقصّ عليها ما حدث، فقال: «اندفعت عبر المطبخ بعد أن تلقيت اتصالك من دون أن أرى ما أفعل، فانهارت ألواح الأرض الخشبية واصطدم رأسي بأرض القبو الحجرية فغبت عن الوعي مدة اثنتي عشرة ساعة...».

- تحت الأرض حيث الظلام... لا عجب في مظهرك الفظيع هذا. ما كان لك أن تتكلم... عليك أن ترتاح.

- أنا بحاجة لأن أتكلم. لم أستطع احتمال التفكير في أنك تنتظرينني. تنتظرين وتنتظرين. وأدركت أنني لن أتمكن من الذهاب إليك في الوقت الذي تحتاجينني فيه بالضبط وأنني خذلتك. غدرت بك بأقسى طريقة ممكنة.

www.elromancia.com

فقالت بثبات: «لقد مررت بهذه المشاعر كلها. كانت ليلة طويلة حقاً. ما أتمناه هو ألاّ أشعر أبداً بمثل الكآبة التي شعرت بها عند الساعة الرابعة صباحاً. الأمر الوحيد الحسن هو أن أمي تحسنت صحتها للغاية، ولم يعد عليّ أن أقلق عليها، رغم أنني أخطأت حين أخبرتها أنك قادم لتكون معي».

أطلق شتيمة لاذعة جعلتها تبتسم: «عند الصباح الباكر حين لم تحضر ولم ترسل خبراً، كان عليّ أن أتصل بالشرطة قبل أن أستقل الطائرة إلى هنا. كانوا سينقذونك قبل الآن بكثير».

- أنا مسرور لأنك لم تفعلي. صفارات إنذار. سيارات إسعاف، التقارير... يا إلهي.

فقالت راضية: «نحن الاثنان لم نخطئ، إذن؟».

- ما فعلته كان رائعاً يا كيلي.

فقالت بابتسامة عريضة للغاية: «ما أروع الشعور أخيراً بأن بإمكاني أن أثق بك».

- هذا يستحق السقوط في أقبية عدة.

وبعد خمس دقائق، أوقفت سيارتها قرب باب الطوارئ في المستشفى. وعندما سارا نحو الباب الزجاجي، وقع نظر سليد على صورته في الزجاج. كان غير حليق الذقن، والدم الجاف على شعره ووجهه فيما تبدو ملابسه قذرة، فشهق: «هل هذا أنا؟».

- لن ينتخبوك في مسابقة رجل العام.

- سيختارونني على الأرجح لإعلان عن منظّف.

فتحت له الباب فدخل. وبعد ملء الأوراق اللازمة، انتظر الطبيب المختص. ثم انتقلا إلى غرفة الأشعة، وأخيراً وضعت الجبيرة. وعندما غادرا المستشفى، كان سليد من التعب بحيث لم يشعر بالجوع. وقالت كيلي: «لقد حجزت في فندق ريفي صغير في آخر الشارع. سيكون عشاؤنا بانتظارنا. قالت الممرضة إن بإمكانك أن تستحم على أن تبقى الجبيرة جافة».

كانت الأدوية التي تناولها تسبّب له دواراً. وبدا له أنه لم ينم منذ وقت طويل. وعندما وصلا إلى الفندق، استحم وارتدى ملابسه بصعوبة ثم أكل ما وُضع أمامه، واستلقى في الفراش.

بدا له السرير الفسيح أشبه بالجنة.

عندما استيقظ سليد، أول ما رآه هو المصباح الجميل النقوش. بدا ضوءه ناعماً في الظلام...

كانت كيلي مكوّمة على الأريكة، وأنفاسها عميقة منتظمة، وشعرها منسدل على وجهها. امتلأ قلبه بحب كاد يعجز عن احتوائه. لم تهرب إلى أوروبا بل جاءت إلى هنا للبحث عنه.

ما الذي جعله محظوظاً بهذا الشكل؟

لا بد أنها تعمدت ترك المصباح مضاءاً لئلاّ يظن، ولو للحظة واحدة، أنه ما زال محبوساً في قبو مظلم. فتحت عينيها متمتمة: «سليد».

- حبيبتي...

وعندما تمطّت بكسل، اتسعت عيناها، وقالت: «حسناً، إنك تتعافى بشكل حسن».

وعلى ضوء المصباح، ابتسمت له. هل من وقت أحسن من هذا الوقت؟ وقالت: «الذي ما أريد أن أخبرك به».

- هل ستسافرين إلى مارسيليا في الصباح الباكر؟

- وأتركك هنا؟ مستحيل.

- ستلبسين تنورة حمراء قصيرة في حفلة بيل القادمة في الحديقة.

تقدّمت منه ووضعت أصابعها على شفتيه وهي تضحك: «أسكت واستمع إليّ. هل تدري ماذا حدث، يا سليد؟ إنه أمر رائع. لقد وقعت في حبك».

جمد في مكانه. إنه يحلم. لا بد أنه يفعل: «كرري ما قلته مرة أخرى».

رفعت بصرها إليه بخجل. كانت خداها متوهجتين وهي تقول: «لقد سمعتني... أنا أحبك».

- تساءلت عما إذا كنت سأسمع هذه الكلمة منك يوماً. آه، يا حبيبتي. أنا أيضاً أحبك.

احتضنها والسعادة تمتلكه. فقالت: «أظنني وقعت في غرامك في «شامونيكس»... لكنني كنت أنكر ذلك. أنا... أحب؟ أبداً... هذا غير ممكن».

فقال بجفاء: «هذا ما لاحظته».

- إلى أن أخذت أنتظرك ساعة بعد ساعة، بجانب سرير أمي، عندئذ أدركت الحقيقة.

وارتجفت للذكرى: «إنه توقيت فظيع. لقد وقعت أخيراً في الحب... لكن حب رجل خذلني عندما احتجته لأول مرة. أخبرتك أنها كانت ليلة شاقة. لكن، عندما تصورت أنك ربما تعرّضت لمكروه ما... أصبح الأمر أسوأ».

- تزوجيني، يا كيلي.

فقالت: «نعم».

- نعم، فقط؟ هل أنت واثقة؟

- أنا أحبك، وسأتزوجك وأعيش بجانبك. وسيكون لنا أطفال، وسندعو والديك على الغداء أيام الآحاد وسأتعلم كيف أحضّر قالب سمك السلمون المدخن.

- ما من حل وسط عندك يا حبيبتي.

- لا يمكنني أن أصف لك مدى سعادتي! أنا أحبك يا سليد، وأحب أن أخبرك أنني أحبك.

وعندما أخذ يضحك من أعماق قلبه، وذراعه السليمة تطوقها بعنف، أضافت قائلة: «قد ندعو أمي أحياناً لغداء. لأنك كنت على حق حين قلت إنها في الاعماق غبية خائفة».

ابتسم لها وقلبه في عينيه: «يمكننا أن ندعو لوثر إذا شئت. ويل.. فأنتما صديقتان قديمتان عملياً».

تنهدت راضية: «لا مزيد من المواعيد في المقاهي».

- ولا مزيد من ملابس المتاحف.

- ولا مزيد من الأضواء الخافتة. هل سنتحوّل إلى زوجين مملّين يجلسان بجانب المدفأة ليلة بعد ليلة؟

فقال: «لا أستطع أن أتصور الحياة مملة معك».

- دعنا نتصل بوالديك وندعوهما إلى العرس.

فقال بحزم: «كما تشائين يا حبيبتي».

www.elromancia.com